أقتصـــاد افريقية في عهد الوندال
٣
دراســات في التاريخ الاقتصادى

الحياة الاقتصادية في الشمال الأفريقي
في عهد الوندال

(٤٢٩ ـــ ٥٣٤ م)

دكتور فايز نجيب إسكندر
استاذ تاريخ العصور الوسطى المســاعد
كلية الآداب ـــ جامعة بنهـا

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / فايز نجيب أسكندر
القاهرة

اقتصـــاد افريقية في عهد الوندال

٣

دراســات في التاريخ الاقتصادى

الحياة الاقتصادية في الشمال الأفريقي

في عهد الوندال

(٤٢٩ ـ ٥٣٤ م)

دكتور فايز نجيب اسكندر

استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب ـ [illegible]

مقدمة

انغمست فى مصادر ومراجع الشمال الافريقى فى عهد الوندال أثناء وجودى فى الجزائر فى اعارة طوال ثلاثة أعوام ، حيث زرت العديد من الأماكن والمدن الأثرية كتمجاد وجميلة وأريس وتديس ، ونقبت فى مكتباتها حيث مخلفات العلماء الفرنسيين ، اذ أقمت عاما فى باتنة — عاصمة الأوراس — واستفدت من مكتبة الأسقفة الكاثوليكية Paroisse Catholique خاصة فيما يتعلق بالمصادر اللاتينية وأهمها على الاطلاق مجموعة Monumenta Germaniae historica, auctores antiquissimi ولا يفوتنى فى هذا الصدد اسداء الشكر للأب آشيل Achille والأب فيليب Philippe الفرنسيين المهتمين بتاريخ الشمال الافريقى فى عصوره الوسطى ، لمساعدتهما لى فى ترجمة العديد من المصادر اللاتينية الى الفرنسية .

ثم كانت اقامتى فى قسنطينة فرصة طيبة للاستفادة من مكتبة المركز الثقافى الفرنسى العامرة بمؤلفات لا تحصى عن تاريخ الشمال الافريقى فى كافة العصور التاريخية . كذلك كانت استفادتى عظيمة من مكتبة ولاية قسنطينة ، حيث مصنفات لا حصر لها عن تاريخ الشمال الافريقى لعلماء فرنسيين درسوا تاريخ الوندال على الطبيعة ، وبعضهم كان يقوم بتدريسه فى جامعة الجزائر العاصمة أمثال جوتييه Gautier وكرستيان كورتوا Christian Courtois والعلامة البرتينى Albertini الذى فك رموز ألواح خشبية تعود الى أعوام ٤٩٣ — ٤٩٦ م ساهمت فى القاء الأضواء على نظام الأراضى وعقود البيع فى عهد الملك الوندالى جونتاموند (٤٨٤ — ٤٩٦م) Gunthamund

ومما يذكر أن دراسة تاريخ الوندال السياسى أسهل بكثير من تناول تاريخهم الاقتصادى • ويعد مصنف كرستيان كورتوا « افريقية والوندال » «L'Afrique et Vandales» أغزر المؤلفات عن تاريخ الوندال السياسى ، ولا يرقى اليه الى يومنا هذا أى مصنف آخر • وهناك أيضا مصنف جوتييه وعنوانه « جنسريك ملك الوندال » «Genséric Roi des Vandales» تناول فيه تاريخ الوندال السياسي فى عهد مؤسس امبراطوريتهم جيزريك • كذلك أفرد شارل أندريه جوليان Charles - André Julien الأستاذ بجامعة السوربون — فصلا هاما من الجزء الأول من مصنفه وعنوانه «تاريخ افريقية الشمالية» «Histoire de L'Afrique du Nord» للحديث عن التاريخ السياسى للشمال الافريقى تحت سيادة الوندال •

هكذا ، تناولت المراجع الأجنبية — التى ذكرنا بعضا منها — تاريخ الوندال السياسى دون التطرق الى تاريخهم الاقتصادى •

واذا انتقلنا الى المراجع العربية ، نلاحظ أنها حذت حذو المراجع الأجنبية • فقد أفرد الأستاذ الدكتور ابراهيم على طرخان مقالا بعنوان « شمال افريقيا والوندال » نشر فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية • كذلك خصص الأستاذ الدكتور اسحق عبيد فصلا من كتابه « من الأرك الى جستنيان » للحديث عن الوندال ، رجع فيه الى مصادر أصلية على درجة كبيرة من الأهمية • بينما أفرد الأستاذ الدكتور محمد محمد مرسى الشيخ فصلا قيما عن الوندال فى كتابه عن « الممالك الجرمانية » • وأخيرا ألف الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران كتابا بعنوان « مملكة الوندال فى شمال افريقيا » ، استند فيه الى بروكوبيوس دون غيره من المصادر المعاصرة والأكثر أهمية • ولا تزيد صفحات الكتاب عن صفحات مقال الأستاذ الدكتور ابراهيم طرخان رغم حاجة تاريخ الوندال السياسى الى مجلدين •

على أية حال ، تناولت هذه الأبحاث وغيرها تاريخ الوندال السياسى دون التطرق الى الحياة الاقتصادية لسكان الشـمال الافريقى فى عهد الوندال (٤٢٩ — ٥٣٤م) • لذا ، يعد هذا البحث اضافة جديدة لكل من المكتبة العربية والأجنبية ، لما فيه من مادة علمية جديدة لم يتناولها أحد من قبل • وقد حاولنا قدر استطاعتنا استجلاء الحياة الاقتصادية فى الشمال الافريقى فى عهد الوندال قدر ما أوضحته المصادر الوندالية التى اتسمت بالبخل الشديد فى علاجها لهذا الموضوع الصعب • اذ تحتم على الباحث اقتلاع الأسطر المتعلقة بالحياة الاقتصادية من بين عشرات صفحات التاريخ السياسى ، مما شكل مجهودا شاقا وصعوبة بالغة ، الا أنه أتى بالجديد الذى هو هدف أى بحث علمى • والجدير بالذكر أن مصـنف فيكتور Victor أسـقف فيتا Vita وعنوانـه « تاريخ اضطهادات الوندال لسـكان مقاطعة افريقية فى عهد كل من جيزريك وهونريك » «Historia Persecutionis Africae Provinicae temporibus Geiserici et Hunerici regum Wandalorum» والذى كتبه حوالى سنة ٤٨٦م قد شكل الجزء الأكبر من مادتنا العلمية • وتـلاه فى الأهمية مصـنفات كـل من بروكوبيوس Procopius ، وبوسيديوس Possidius أسقف جالمة Calama ، وفراندوس Ferrandus أسقف قرطاج Carthage

وقد سبق لى أن أفردت ثلاث دراسات فى التاريخ الاقتصـادى الأولى بعنوان « دراسـة لاتفاقية تجارية بين امبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م » ، والثانية بعنوان « الحياة الاقتصـادية فى أرمينية ابان الفتح الاسلامى » ، أما الثالثة فكانت محاضرة باللغـة الفرنسية ألقيتها فى لاتيليبه الاسكندرية (جماعة الفنانين والكتاب) بعنوان « الرخاء الاقتصادى فى أرمينية فى عهد أسرة بجراط » « La prospérité économiqne de L'Arménie au temps des Bagatides » تلاها نقاش باللغة الفرنسية والعربية •

ولا يسعنى فى النهاية الا أن أتقدم بوافر الشـكر والامتنان لأستاذى الأستاذ الدكتور جوزيف نسـيم يوسف لدوام تشـجيعه • كما أخص بالشكر الأستاذ الدكتور حسنين ربيع لنصائحه السـديدة •

وأخيرا ، فلعلنا بهذه الدراسة المتواضعة نكون قد أضفنا جديدا الى المكتبة العربية •

والله أسأله السداد

الاسكندرية فى ٢٤ أبريل ١٩٨٧ •

فايز نجيب اسكندر

الحياة الاقتصادية فى الشمال الافريقى
فى عهد الوندال
(٤٢٩ — ٥٣٤ م)

أعداء الوندال يكتبون سيرتهم :

لا نعرف تاريخ الوندال الا من مصادر أعدائهم أمثال فيكتور أسقفه غيتا [١] Victor de Vita ، وبوسيديوس أسقف جالة [٢] Possidius de Calama ، وفراندوس أسقف قرطاج [٣] Ferrandus de Carthage ، وبروكوبيوس [٤] Procopius سكرتير القائد البيزنطى بليزاريوس والذى صاحبه فى حملته لتحطيم مملكة الوندال • لذا ، لا نتوقع منهم الانصـــاف أو الحياد بل المعاداة والمبالغة فى ذمهم • وعــلى هذا ، لم نعثر بين ثنايا مصادر تاريخ الوندال على سطر واحد كتب لصالح تلك الوحوش الكاسرة — على حد زعم هذه المصادر • ومما لا شك فيه ، أنه لو أصغى اليهم أو لو خلف لنا مؤرخوهم من بنى جنسهم مصنفات تتناول تاريخهم ، لتبدلت الأحداث رأسا على عقب ، ولتمكن الباحثون

---

(1) Victor de Vita, Historia persecutionis Africae provinciae temporibus Geiserici et Hunerici regun Wandalorum, dans les Monumenta Germaniae historica, auctores antiquissimi, t. III, 1, Berlin, 1879.

(2) Possidius de Calama, Vita Augustini, éd. Werskotten, Londres, 1919.

والملاحظ أن الجزائريين يكتبون اسم هذه المدينة « قالمة » وينطقونها « جالة ».

(3) Ferrandus de Carthage, Vita St. Fulgentii, ed. G. G. Lapeyre,Paris, 1929.

(4) Procope de Césarée, Bellum Vandalorum, éd. Haury, dans Bibl. Tenb., 3 vols, Munich, 1905 — 1913.

من عقد دراسات تحليلية نقدية مقارنة لمصادر الأعداء والأبناء معا [٥]. وعلى هذا الأساس ، انعكس هذا القصور الواضح فى مصادر تاريخ الوندال ، وأفرز سموما ألصقها الأعداء بهم ، حتى أن كلمة الوندالية Vandalisme تعنى فى اللغات الحديثة الوحشية وتحطيم مظاهر الحضارة [٦] ، بسبب ما اقترفه الوندال من أعمال التخريب والتدمير ،

---

(٥) اختلف الحال بالنسبة لبقية الغزاة البرابرة ، اذ ظهر اربعة من كبار المؤرخين من بنى جنسهم وهم جوردان Jordanes (عاش فى القرن السادس الميلادى) مؤرخ القوط (عنه انظر : اسحق عبيد : من الأرك الى جستنيان — القاهرة ١٩٧٧ — ص ١٦٦ — ١٦٧) ، وجريجوار التورى Grégoire de Tours (٥٣٨ — ٥٩٤م) مؤرخ الفرنجة (عنه انظر : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٦٧ — ١٦٩) ، وبيده (٦٧٢ — ٧٣٥م) Bede الشهير بلقب « الوقور » مؤرخ الانجليز (عنه انظر : اسحق عبيد : ص ١٧٠ — ١٧١) ، وبولس الشماس (٧٢٠ — ٨٠٠م) ويعرف فى اللاتينية باسم Paulus Warnerfridi وهو مؤرخ اللمبارديين (عنه انظر : اسحق عبيد : ص ١٧١ — ١٧٢) . وكانت مؤلفات بيده أكثرها شيوعا . اذ درج الكتاب اللاحقون على الاقتباس منها ، واختصارها ، والنسج على منوالها . انظر : بيريل سمالى : المؤرخون فى العصور الوسطى — ترجمة قاسم عبده قاسم — القاهرة ١٩٧٩ — ص ٦٥ ، اسحق عبيد : الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية — القاهرة ١٩٧٢ — ص ١١١ ، ١٢٦ — ١٢٧ ، ١٦٣ — ١٦٤ ، سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٥٩ — ج ٢ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٦) خصص العالم الفرنسى كرستيان كورتوا — أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الجزائر فى أوائل الخمسينيات — العديد من صفحات مصنفه « افريقية والوندال » لمعالجة سبب تسمية الوندال بالوندالية . انظر :

Vandales et Vandalisme فى Courtois, l'Afrique et les Vandales, Paris, 1955, pp. 58 — 64.

والجدير بالذكر أن الوندال كانوا أقل اجراما من العناصر الأخرى فى تدمير الآثار الفنية ، فمن حسناتهم انهم لم يشنوا حرب ابادة ضد العمارة والفنون ، بل كان همهم الأوحد هو الاستيلاء على الذهب والفضة والأحجار الكريمة والأقمشة (Victor de Vita, I, 12, p. 4.) وعلى هذا ، لايمكن مقارنة افعالهم بما فعله غيرهم مثل القوط الشرقيين والبيزنطيين واللمبارديين والنورمان .

ونشرهم الهلع والفزع فى كل مكان حلوا به على حد قول مصادرهم(٧) .
الا أن الباحث المدقق لا يستطيع أن يتقبل هذا الاتهام الذى ألصقه
بهم رجال الدين الكاثوليك — ألد أعداء الوندال الاريوسيين — خصوصا
اذا علمنا أن الوندال استطاعوا الاستقرار فى الشمال الافريقى
وانغمسوا فى حياة الترف والبذخ واللهو بعد أن تأقلموا وتمدينوا مع
البيئة الجديدة التى استقروا فى ربوعها .

وكان من الطبيعى أن يحدث تمازج وانسجام ومعايشة بين العناصر
الوندالية والرومانية والبربرية فى الشمال الافريقى فى عهد السيادة
الوندالية (٤٢٩ — ٥٣٤م) . ومن المؤسف حقا أننا لم نعثر على بقايا
أثرية تاريخية تثبت حضارة الوندال الا نادرا . ومع ذلك ، فان للوندال

---

(٧) عبر عن ذلك أحسن تعبير المؤرخ المعاصر فيكتور دى فيتا Victor de Vita . ففى مصنفه « تاريخ اضطهادات الوندال لسكان مقاطعة افريقية فى عهد كل من جيزريك وهونريك »

Historia persecutionis Africae provinciae temporibus Geiserici et Hunerici regum Wandalorum

الذى كتبه حوالى سنة ٤٨٦م (انظر :

Ferdinand Lot, les Invasions Germaniques, Paris, 1945, p. 157).

حاول الأسقف فيكتور — بدافع بغضه لغزاة وطنه — أن يرسم لنا لوحة ينسال منها دماء أبناء الشمال الافريقى . فالوندال — على حد زعمه — اكتسحوا كل مظاهر الحضارة والعمران ، وأقاموا المذابح للسكان الآمنين ، وأشعلوا النيران فى كافة ربوع البلاد فتحولت الى «جحيم». وعلى الرغم من المبالغة الواضحة فى سرده للاحداث ، الا أن مصنفه يعد المصدر الوحيد الذى لا غنى عنه لأى باحث يتناول تاريخ الشمال الافريقى خلال حكم كل من جيزريك (٤٢٩ — ٤٧٧م) وهونريك (٤٧٧ — ٤٨٤م) ، فبدونه لأصبح تاريخ شمال غرب أفريقيا فى الحقبة السابقة بمثابة صفحات مفقودة ، لكونه المصدر الوحيد الذى انفرد بتغطية أحداث هذه الفترة البالغة الأهمية . وزاد من قيمته أن فيكتور كان شاهد عيان للاحداث التى أرخ لها ، أضف الى ذلك انه اهتم اهتماما بالغا بجمع المادة التاريخية التى لم يكن شاهد عيان لها ، وتحرى فى ذلك الدقة البالغة قدر استطاعته . وقد اعتمد عليه الباحث اعتمادا رئيسيا فى اعداد هذا البحث . وسنقوم فيما بعد — ان شاء الله — بنشر دراسة تحليلية نقدية مقارنة لهذا المصدر الهام بعنوان « الشمال الافريقى فى عهد الوندال فى ضوء مصنف فيكتور دى فيتا » .

بطبيعة الحال حضارة متواضعة خاصة بهم . فلهم نظمهم السياسية واهتماماتهم بالأراضى وتقسيمها . كما كان لديهم جيش قوى ذو تنظيم رائع ، وأسطول أقوى جعل من وسط وغربى البحر المتوسط بحيرة وندالية [٨] خاصة بعد أن نجح جيزريك (٤٢٩ — ٤٧٧ م) Geiseric — مؤسس امبراطورية الوندال [٩] — فى ضم جزيرتى سردينيا [١٠]

---

(٨) يرى نومان بينز Norman H.Baynes فى دراسته النقدية لكتاب « محمد وشارلمان » (انظر : Henri Pirenne, Mahomet et Charlemagne, Paris. 1970, p. 111.) أن الوندال الذين استولوا على الشمال الافريقى ، وقاموا بأعمال القرصنة فى غربى البحر المتوسط هم الذين تسببوا فى تحطيم وحدة عالم البحر المتوسط فى القرن الخامس . وأيد هذا الرأى العالم الفرنسى جوتييه (أنظر E.F. Gautier, Genseric, Paris, 1935, pp. 268 — 269 بينما يرى العالم البلجيكى هنرى بيرين أن الفتوحات الاسلامية هى السبب فى ذلك ، فقد حطم المسلمون على حد زعمه وحدة عالم البحر المتوسط اذ يقول «L'Unité Méditerranéenne est brisée» انظر Pirenne, p. 111. ولمزيد من الدراسة التحليلية القيمة لمختلف الآراء بصدد هذا الموضوع أنظر : على الغمراوى : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى — القاهرة ١٩٧٥ — ص ٣٨ — ٥٣ ، ابراهيم أحمد العدوى : الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم — القاهرة ١٩٥٨ — ص ١٤٦ — ١٤٨ ، ١٤٦ حاشية رقم ١ .

على أية حال ، كان ظهور الوندال على مسرح الأحداث التاريخية ، وتحويلهم البحر المتوسط الى بحيرة وندالية ، عاملا هاما فى التطور الاقتصادى والاجتماعى لأوروبا آنذاك . فتحكم الأسطول الوندالى فى البحر المتوسط وما صاحبه من أعمال القرصنة ، وقطع التجارة الرائجة بين الموانىء التجارية الشهيرة نتيجة أعمال السلب والنهب والتقتيل ، أدى الى انقلاب اقتصادى خطير ، اذ تحول الاقتصاد الأوروبى من اقتصاد نقدى الى اقتصاد قائم على الاكتفاء الذاتى . وترتب على ذلك أيضا انقلاب اجتماعى بظهور نظام الاقطاع . وهكذا انقلب كيان أوروبا اقتصاديا واجتماعيا بفعل السيادة الوندالية على البحر المتوسط .

(٩) ورد اصطلاح « امبرطوريتنا » Imperium nostrum أى « امبراطورية الوندال » فى مرسوم ٢٥ فبراير سنة ٤٨٤م . أنظر : Victor de Vita, III, 14, dans M.G.H.a.a, t. III, 1, p 43.

(١٠) عن تفاصيل غزو الوندال لجزيرة سردينيا أنظر : Victor de Vita, I, 13, dans MG.H.a.a., t. III, 1, p. 4.

واستنادا الى روايته لم يحتل الوندال جزيرة سردينيا الا بعد سنة ٤٥٥م

وكورسيكا [١١] وجزر البليار [١٢] الى أملاكه ، وشروعه فى غزو صقلية [١٣] وايطاليا [١٤] وجانب من أراضى البلوبونيز [١٥] وبعض

---

(١١) عن تفاصيل غزو الوندال لجزيرة كورسيكا انظر :

Victor de Vita, I, 13, dans M.G.H.a.a., t. III, I, I, p 4

ويتضح من نص روايته أن جزيرة كورسيكا — كجزر البليار — ظلت تحت سيادة الرومان حتى وفاة فالنتيان الثالث أى حتى سنة ٤٥٥ م ، وبعد وفاته ، حاول جيزريك احتلالها مدعيا انها فى عداد أملاكه .

(١٢) عن تفاصيل غزو الوندال لجزر البليار انظر :

Hydace, Chronico, dans M.G.H.a.a., t, XI, p. 21; Isidori Hispalensis Episcopi, Historia Wandalorum, 73, dans M.G.H.a.a., t, XI, p. 296.

وقد أشار هذان المصدران الى أن الوندال اغاروا ونهبوا جزر البليار سنة ٤٢٥م . الا أن هذه القول لا يعنى اخضاعها للسيادة الوندالية ، اذ ظلت خاضعة لاسبانيا حتى سنة ٤٤٩م (انظر

Polemius Silvius, Laterculus, IV, 6, dans M.G.H.a.a., t.IX,p. 538).

واستنادا الى رواية فيكتور دى فيتا ، تمكن جيزريك من الاستيلاء على جزر البليار عقب وفاة فالنتنيان الثالث سنة ٤٥٥ — كما سبق أن ذكرنا فى الحاشية السابقة . أنظر :

Victor de vita, I, 13, dans M.G.H.a.a., t, III, 1, p. 4

أنظر أيضا : نعيم فرح : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى — دمشق ١٩٧٨ ، ص ٣١ .

(١٣) نظم جيزريك حملة على جزيرة صقلية وذلك فى ربيع سنة ٤٤٠م ، ولم تسفر هذه الحملة الا عن الحاق الدمار بالجزيرة ، وانسحاب الوندال فى نهاية نفس السنة الى الشمال الافريقى. وقد أشار هيداس فى حوليته الى مساندة الآريين من سكان صقلية للغزاة الوندال . وكان على رأس هؤلاء زعيم يدعى مكسيمينوس Maximinus . (انظر :

Hydace, Chron, 120, dans M.G.H.a.a., t. XI, p.23.

ومن المعتقد أن الوندال لم يستقروا فى جزيرة صقلية قبل سنة ٤٦٨م . علما بأن فيكتور دى فيتا حدد اجتياح الوندال للجزيرة عقب وفاة فالنتنيان الثالث اى عقب سنة ٤٥٥م . انظر

Victor de Vita, I, 13, dans M.G.H.a.a., t. III, I, p 4

الجزر القريبة منه [(١٦)] • ولم تقتصر حضارة الوندال على النظم السياسية والجيش والأسطول ، بل شهد الشمال الافريقى فى عهدهم ازدهارا فى الحياة الاقتصـــادية ، حيث راج التبادل التجارى وبالتالى لعبت العملة الوندالية دورا هاما فى التجارة كما سيتضح من هذه الدراســة المتواضعة • ومما يذكر أن الوندال لم يبالغوا فى ممارسة سياســتهم الوحشية التعسفية ضد أهالى الشمال الافريقى ، بل مارسوها ضــد رجال الدين الكاثوليك وكبار رجال الاقطاع • ويرجع السبب فى ذلك الى أن ملوك الوندال اعتقدوا تماما أن رجال الدين الكاثوليك وكبار رجال الاقطاع قد تحالفوا معا ضدهم نتيجة لما أصــابهم من أضرار بالغة ، لذا ، عملوا معا لحســاب سلطات الامبراطورية الرومانية ، فكــانوا — على حسب اعتقادهم — عيونا لها ، انتهاجا لسياسة القضــاء على الوجود الوندالى فى الشمال الافريقى ، وارجاع البلاد الى ســابق عهدها تحت السيادة الرومانية وبالتالى ارجــاع نفوذهم الى ســابق عهــده •

= (١٤) كان ذلك فى ربيع سنة ٤٥٨م ، اذ انخرط فى الاغارة عــلى آيطاليا الوندال والبربر • فبينما قام الوندال بأعمال السلب والنهب ، انتظر البربر فى سفنهم الغنائم التى سيحملها اليهم الأسرى (أنظر

Sidoine Apollinaire, Carm., V, 388 et ssq., dans M.H.G.a.a., t, VIII, p 197 .)

ثم شن الوندال اغارة ثانية فى خريف سنة ٤٦١م ، وثالثة فى سنة ٤٦٣م • ومن المعتقد أن وطأة هذه الحملات قد خفت منذ سنة ٤٦٨م بسبب نضوب مال جيرزيك وقلة أعداد جنوده •

Procope, B. V. I, 5, 22, éd., J. Haury, t. I, p. 334.

= (١٥) لمزيد من التفاصيل انظر

Procope, B. V., I, 22, 16 — 18, éd. J. Haury, t. I, p. 406 ssq. Cf. A. Bon, Le Péloponèse Byzantin Jusqu'à 1204, Paris, 1951, p. 17.

(16) Victor de Vita, 1, 13, dans M.G.H.a.a., t, III, 1, p. 4.

ألواح البرتيني وأهميتها في دراسة الحياة الاقتصادية :

على أية حال ، تؤكد ألواح البرتيني[١٧] Tablettes Albertini صحة ما وصلنا اليه ، اذ نستخلص منها أن الأفارقة البربر — وهم السواد الأعظم من سكان الشمال الافريقي — قد استمرت معيشتهم في عهد ملوك الوندال مثلما كانت في أيام الرومان .

---

(١٧) أسهمت ألواح البرتيني في القاء الأضواء على نظام الأراضي في عهد الوندال . ففي شهر سبتمبر من سنة ١٩٢٨ ، تم اكتشاف ٤٥ لوحة بجنوب تبسة بالجزائر . وقد سلمت هذه الالواح الخشبية من التلف بفضل عناية أ. ترويو A.Truillot الذى كان يشغل آنذاك وظيفة كاتب بندية مختلطة . وفى ٢١ سبتمبر ١٩٢٨ ، قدم الأستاذ البرتيني الى مجمع الخطوط والرسوم مجموعة هذه الالواح بعد أن توصل الى قراءة نصوصها المكتوبة بالحبر ، فوجدها تتعلق بنظام الأراضي وعقود البيع . ويعود تاريخ هذه الألواح الى سنوات ٤٩٣ — ٤٩٦م ، أى فترة حكم جونتاموند (٤٨٤ — ٤٩٦م) . (أنظر

Charles — André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1975, t. I, p. 240).

وأسهم في نشر نصوص هذه الالواح كل من كرستيان كورتوا ، وليشي ، وبيرا وسوماني . أنظر

Ch. Courtois, L. Leschi, Ch. Perrat, Ch. Saumagne, Tablettes Albertini, Actes privés de l'époque Vandales (fin du Ve siècle), Paris, 1952.

وقد سارع بعض العلماء الفرنسيين في اصدار دراسات تحليلية نقدية وبعض التصويبات . وتتسم دراساتهم العميقة والمعمقة باضافات جديدة ألقت الضوء على محتويات هذه الالواح . من هذه الدراسات

J. Carpino, Les Tablettes Albertini, dans Journal des savants 1953, pp. 145 — 169 ; J. Lambert, Les « Tablettes Albertini», dans Latomus, t. XII, 1953, pp. 192 — 205 ; J. De Malafosse, Note sur les Tablettes Albertini : les stiqulations de garantie, dans Rev. Hist. de Droit Français et étranger, 1953, pp. 110 — 120.

وعلى هذا الأساس ، لا ينبغي أن نأخذ بالشائعات الكاذبة التي روج لها رجـال الكنيســة الكاثوليك — أمثـال فيكتور أسـقف فيتة وبوسيديوس أسقف جالة وفراندوس أسقف قرطاج — لما ألصقوا باسم الوندال معنى التوحش والتهديم والتخريب . فجيزريك قام بمصادرة أملاك أفراد الأرستقراطية الزراعية سواء كانوا من العامة أو من رجال الدين الكاثوليك (١٨) . الا أنه كان يدرك تماما أن الازدهار الاقتصادي يرتكز أساسا على الفلاح ، لذا ، لم يمسه بسوء وبالتالي شهد الشمال الافريقي ازدهارا اقتصاديا . ففي ألواح البرتيني دلائل على وجـود أطلال المؤسسات الافريقية وآثار معاصر الزيت وبقايا أسوار صـغيرة لسد مجرى السيول . ان كل ذلك يعتبر دليلا قاطعا على أن الشـمال الافريقي كان به سـكان مستقرون شغلهم الشاغل زراعة الأرض ، وأن الزراعة آنذاك أصابها نوع من الازدهار . وسـاهمت ألواح البرتيني أيضا في القاء الأضواء على نظام الأراضي في عهد الوندال ، لأنها تعد أول عقود للبيع عثر عليها في جنوب تبسة وسلمت من التلف ثلاثة عشر عقدا منها كاملة النص وثمانية عشر ناقصة . وتتعلق جميعها ببيـع العقارات . ففيها نجد معلومات عن عهد جونتاموند (٤٨٤ — ٤٩٦ م) Gunthamund ، وعن نظم بيع العقـارات آنـذاك ، وعن البائعين ، ووصفا للعقار المباع واسم المشتري ومبلغ البيع ، وحقوق الشاري وحماية العقار من الانتزاع والمصادرة ، وعن مكان كتابة العقد وتاريخه . والعقد مذيل أحيانا بامضاء البائع والمشتري . ونستخلص من أسعار العقارات الواردة في ألواح البرتيني أنه طرأ عليها انخفاض ملحوظ بمقارنتها بعهد السيادة الرومانية . والجدير بالتسجيل هنا أن هذه الألواح تثبت استمرارية التقاليد القديمة (١٩) .

---

(18) Procope, B. V., 1, 5, 11, ed. J. Haury, t. 1, p. 333 ; Vita Fulgentii, I, éd. G. — G. Lapeyre, p. 11 (amissis omnibus bonis); Victor de vita, 1, 14, dans M.G.H.a.a., t. III, p 4

(19) Ch. Saumgne, dans Tablettes Albertini, pp. 97. spp.

لمحة عن تاريخ الوندال السياسى :

وقبل الغوص فى تفاصيل الحياة الاقتصادية فى الشمال الافريقى ، وجدنا من الضرورى القاء بعض الأضـواء السريعة شـديدة الايجاز على تاريخ الوندال السـياسى كأسـاس لابد منه قبل تناول تاريخهم الاقتصادى • فمما يذكر أن قبائل الوندال لم تنزل بسواحل الشـمال الافريقى الا بعد عدة قرون من المغامرات والاغتراب [٢٠] • فقد انطلقوا من بحر البلطيق ، وبلغوا سهول الأودر Oder والفسـتول الأعلى Vistule Supérieure حوالى القرن الأول قبل الميلاد [٢١] ، ثم عانوا من التشتت فى القرن الثانى الميلادى بسـبب هجرة القوط ، واجتمعوا فى بطنين رئيسين يعرفان باسمى السيلنج [٢٢] Silings

---

(٢٠) عن الوندال قبل نزولهم بسواحل الشمال الافريقى انظر
Courtois, l'Afrique et les Vandales, p. 18 spp : Gautier, Genséric, pp. 91 — 117.

والجدير بالذكر أنه كان لظهور الوندال على مسرح الأحداث الأوروبية آنذاك أهمية بالغة ، اذ اضطرت الامبراطورية الرومانية الى بعثرة قواتها العسكرية بايطاليا لمحاربة أولئك القراصنة على حين كانت الضرورة تحتم توجيه تلك القوات لوقف زحف الجرمان على بلاد الغال . وترتب على ذلك نتائج خطيرة ، منها ضياع بلاد الغال نهائيا من يد الامبراطورية الرومانية ؛ وانسحاب آخر حامية رومانية من بريطانيا ، ومهاجرة الكلتيين أهل الأقاليم الجنوبية الغربية من الجزيرة فرارا من السكسون الى جهات أرموريكا ، التى سميت منذئذ بريتانى ، تحريفا من اسم بريطانيا القديم . انظر : السيد الباز العرينى : تاريخ أوروبا العصور الوسطى — بيروت ١٩٦٨ ، ص٩٧ .

(21) Courtois, l'Afrique et les Vandales, pp. 18 - 19 ; H. Hubert. Les Germains, Paris. 1952, pp. 75 sqq et 297 sqq.

(٢٢) للتفاصيل الدقيقة عن السلينج انظر :
Courtois, pp. 21 — 31 .

واسدنج [٢٣] Hasdings • وبعد فترة اضــطرابات دامت قرنين من الزمان ، وصلوا الى نهر الراين الأوسط ، حيث انضمت جماعات من السويف Suéves والسلينج الى الآلان Alains ، وحطموا جميعا خط دفــاع الامبراطورية الرومانية على نهر الراين وذلك قرب ماينس Marjence فى آخر ديســمبر سنة٤٠٦م [٢٤] ، واكتسحوا بلاد الغال ونهبوها [٢٥] ، ثم دخلوا أسبانيا فى خريف سنة ٤٠٩م [٢٦] ، ولم

---

(٢٣) للتفاصيل الدقيقة عن الأسدنج أنظر :
Courtois, pp. 31 — 36.

أنظر أيضا : اسحق عبيد : من الأرك الى جستنيان ، ص ٥٥ . ومما يذكر ان جيزريك ينتسب الى الأسدنج . انظر :
Gautier, Genséric roi des Vandales, Paris, 1935, p. 92.

(٢٤) للتفاصيل عن هذه الحملة أنظر :
P. Courcelle, Histoire Littéraire des invasions Germaniques, Paris, 1948, pp. 57 — 66 ; E. Demougeot, De l'unité à la division de l'Empire Romain, Paris, 1951, pp. 376 — 396.

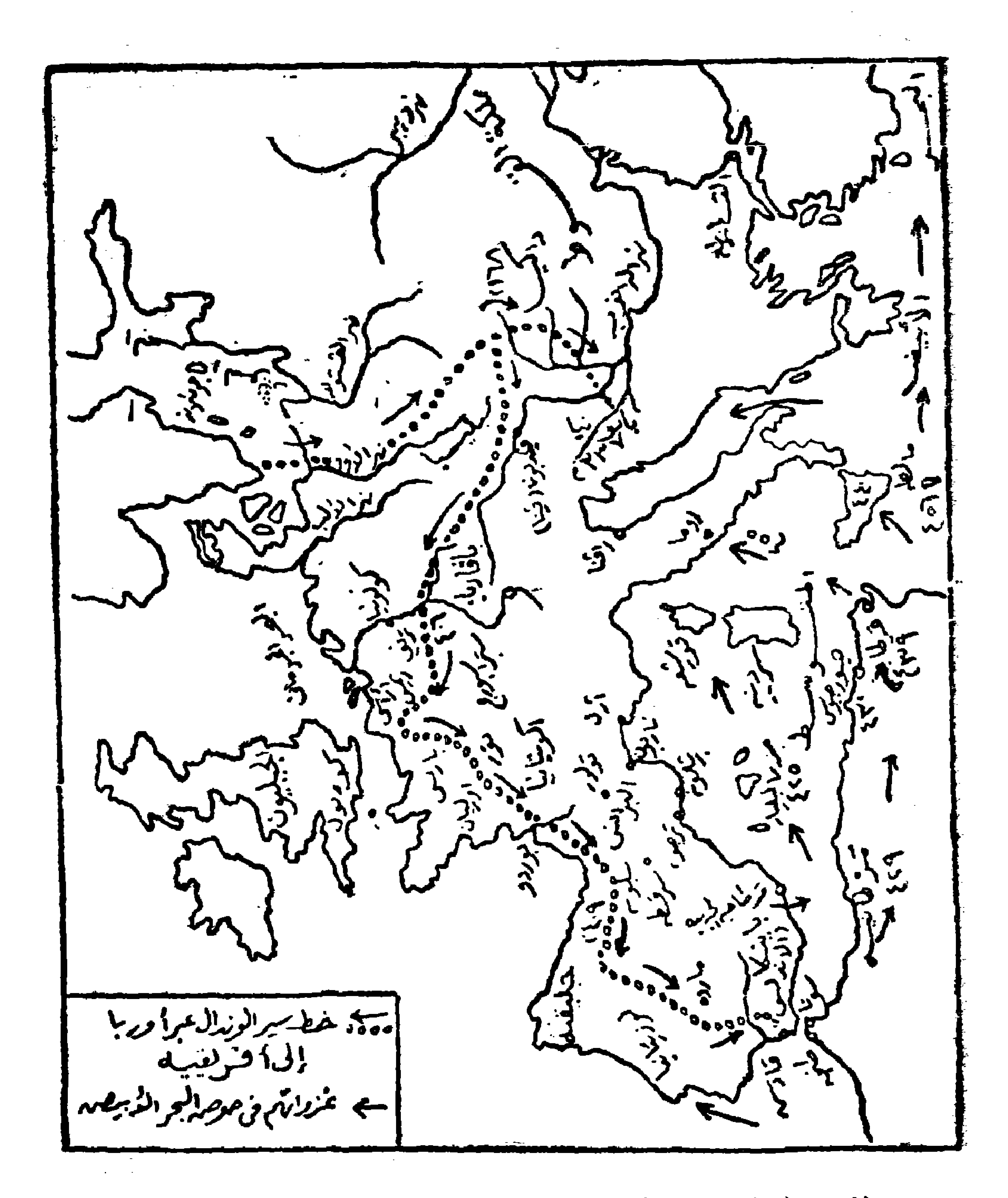
أنظر أيضا : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢٥) عن تفاصيل اكتساح الوندال لبلاد الغال أنظر :
Courtois, pp. 38 — 51.

أنظر أيضا : ابراهيم على طرخان : شمالى افريقية والوندال — المجلة التاريخية — ج ١١ ، ص ٩٦ .

(٢٦) اختلفت المصادر فى تحديد القبائل التى دخلت أسبانيا فى خريف سنة ٤٠٩م ، فمنها من ذكر أنها اقتصرت على الآلان والوندال والســواف
Hydace, Chron. 42, dans M.G.H.a.a., t, XI, p 17 (Alani et Vandali et sueui) ; Chronica Gallica. a. DXI, 552, id., t. IX p. 655 (Alani, Wandali et Sueui) ; Isidore, Hist. Wand., 72, id., t. XI, p. 295 (wandali cum Alanis et Sueuis) ; Orose, Adu. paganos, VII, 40, 9, dans C.S.E.L.t. V, p. 552 ; Narratio de imper domus Valent - et Theodos., 6, dans M.G.H.a at,IX, p 630 (Wandalis, Sueuis, Alanis)

أما بروسبير وكاسيودور فلم يذكرا الا الوندال . أنظر :
Prosper, chron. 1237, id., p. 465 ; Cassiodore, chron, 1183. id., t. XI, P. 155.



نقلا عن ابراهيم على طرخان : شمالى أفريقية والوندال

تمض سنتان أو ثلاث حتى استقر الأسدنج والسواف فى الشمال الغربى من أسبانيا فى اقليم غاليسيا (جليقية) Galleacia ، واحتل السيلنج جنوب أسبانيا اذ أقاموا فى اقليم بياتيكا Beatica ، وهى التى عرفت باسم الوندال ، فصارت « الأندلس » ، أما الآلان ، فقد استقروا بلوزيطانيا Lusitania والمنطقة البونيقية فى الجهات المتوسطة من أسبانيا [٢٧] (أى فى البرتغال) • وقد تعرضت بعض هذه القبائل لضربات قاسية ، ففى سنة ٤١٦م ، أبيدت قبيلة السيلنج [٢٨] ، واضطر أفراد قبيلة الآلان الى الذوبان فى شعب الأسدنج [٢٩] • أما الوندال فقد تجنبوا الكارثة بهروبهم الى جنوب أسبانيا ، حيث تمكن ملكهم جوندريك Gundéric من الاستيلاء على قرطاجو سبرتاريا (كارثاجينا) Carthago Spartaria (Carthagéne) وأشبيلية (سيفيا) Hispalis (Séville) وأن ينتزعهما من أيدى الرومان وذلك سنة ٤٢٥م [٣٠] • وهكذا ، وضع الوندال أيديهم على طول السواحل ، وبسطوا نفوذهم على البحر المتوسط بفضل أسطول أسبانيا القوى • وسرعان ما احتلوا جزر البليار ، وأخذت سفنهم تنهب

---

(27) Hydace, Chron, 49, dans M.G.H.a.a., t, XI, p. 18 ; Isidore, Hist. Wand., 73, id., p. 296; Chron. Gall, a. DXI 557, id, t, IX, p 655

(28) Hydace, chron., 60, dans M.G.H.a.a, t, XI, p 19

(29) Hydace, chron., 68, dans M.G.H.a.a, t. XI. p 19
ومن المعتقد أن هذا حدث منذ عام ٤١٨م .

(30) Hydace, chron., 86, dans M.G.H.a.a., t. XI, p 21

وقد نقلت الحولية الغالية عن هيداس ، الا أن هذه الأحداث وردت فيها تحت أعوام ٤٢٩ وليس ٤٢٥م . انظر : .Chron. Gall. a. DXI, 584
id., t. IX, p. 659. Cf. Isidore. Hist, Wand, 73, id, t, XI, p 296,

سواحل موريتانيا الطنجية ابتداء من سنة ٤٢٥م [٣١] • ولما أصبح ملك الوندال سيدا على معظم الأراضي الأسبانية ، كان من الطبيعي أن يتوجه بأنظاره الى الشمال الافريقي • الا أن جونديريك قضى نحبه سنة ٤٢٨م [٣٢] ، فكان على أخيه جيزريك Geiseric أن يقوم بهذه المهمة • وكان العاهل الوندالي الجديد مقتنعا بأن مستقبل شعبه لن يكتمل الا بتحويل البحر المتوسط الى بحيرة وندالية • وبهذا التحول سينجح في السيطرة على الشمال الافريقي — أرض الميعاد — وسيتمكن أيضا من حرمان روما والقسطنطينية من الغلال وبالتالي ستكون العاصمتان تحت رحمته • وقد فشل القوط الغربيون من قبل في عهدى الاريك Alaric وفاليا Wallia في تنفيذ هذه الخطة الماكرة ، بينما حالف جيزريك النجاح •

تنفيذا لأهدافه هذه ، لم يترك زعيم الوندال الفرصة تفوته ، فبعد أن وطد أركانه بانتصاره على السواف الذين أغاروا على لوزيطانيا [٣٣]،

---

(٣١) أشار الى ذلك هيداس بقوله

« Hispaniis depraedatis Mauritaniam inuadunt».

أنظر :

Hydace, Chron., 86, dans M. G. H. a. a., t, XI, 21, chron, Gall, a. DXI, 584, id., t. IX, p. 659.

(32) Hydace, chron, 89, dans M. G. H. a. a., t. XI, p 21, Cf, F. Martroye, Genséric, p. 101.

(٣٣) عن تفاصيل هذه الأحداث أنظر :

Hydace, chron., 90, dans M. G. H. a. a., t, XI, p 21



نقلا عن ابراهيم علي طرخان : شمالي أفريقية والوندال

انتقل بجيوشه الى افريقية[٣٤] ، بصحبته شـــعبه بأكمله من الوندال والآلان وحتى بعض القوط القاطنين بأسبانيا ، أى مايقرب من ثمانين ألف نسمة ، منهم خمسة عشر ألف جندى [٣٥] . كان ذلك فى مايو ســـنة ٤٢٩م [٣٦] . واذا صدقنا ما رواه بوسيديوس أسقف جالما (غالما : هكذا يكتبها الجزائريون حاليا) Calama فى مصنفه عن حياة القديس أغسطينوس [٣٧] « Vita Augustini » ، وما أورده فيكتور دى فيتا فى مصدره المعنون « تاريخ اضـــطهادات الوندال لمقاطعة افريقية فى عهدى جيزريك وهونريك » [٣٨]

---

(٣٤) اختلفت المصادر فى تحديد تاريخ وصول الوندال الى الشمال الافريقى . اذ أدرج تارة تحت أحداث سنة ٤٢٧م (أنظر :
Prosper, chron. 1295, dans M. G. H. a. a, t, IX, p 472 ; Cassiodore, chron., 1215, id., t. XI, p. 156.)

وتارة ثانية تحت أحداث سنة ٤٢٨م (أنظر :
Chronicon paschale. dans C. S. H. B, t, I, p 581)

وتارة ثالثة تحت أحداث سنة ٤٢٩م أنظر :
Hydace, chron. 90, dans M. G. H. a. a, t, XI, p 21

بل ويؤكد هيداس أن هذا حدث فى شهر مايو من سنة ٤٢٩م . ويعد ما أورده هيداس أدق هذه التواريخ .

(٣٥) حدد كرستيان كورتوا جيش جيزريك ما بين عشرة الى خمسة عشرة الف مقاتل . أنظر : Courtois. p. 162.

(36) Hydace, chron., 90, dans M. G. H. a. a., t, XI, p 21

(37) Possidius, Vita Augustini, XXVIII, éd H. - T. Weiskotten, pp. 112 aqq. Cf. De Tempore Barbarico, II, 5, pp 204 — 205

(38) Victor de Vita, t. III, 1, pp. 3 - 4

والملاحظ أن فيكتور دى فيتا كتب مصنفه بعد مضى نصف قرن على الأحداث . لذا ، نقل عن « سيرة القديس أغســطينوس » لبوسيديوس اذ شـــكل هـــذا المصـــنف الجزء الاكبر من المادة التاريخية التى زودنا

« Historia persecutionis Africae provinciae temporibus Geiserici et Hunerici regum Wandalorum » فان زحفة المغيرين تبعتها أعمال فظيعة من عبث بالأشجار والمزروعات وحرق الكنائس وامعان فى تعذيب الأساقفة والقساوسة ورجال الكنيسة الكاثوليكية عامة ، وتقتيل للشيوخ والأطفال [٣٩] . ولم يكن فى مقدور الامبراطورية الرومانية أن تقف فى وجه جيزريك الذى نجح فى الاستيلاء على الجزء الأكبر من نوميديا (الجزائر حاليا) ، ثم اكتسح افريقية القنصلية [٤٠] (تونس حاليا)

بها فيكتور دى فيتا ، لكونه غير معاصر لأحداث تاريخ الوندال فى مراحله المبكرة . (قارن : Possidius, Vita Augustini, pp. 110 - 116. مع Victor de Vita, t. III, 1, pp. 3 - 4. كذلك نقل عن مصنف De tempore Barbarico (قارن De tempore Barbarico II, 6, p. 204 - 205. مع Victor de Vita t. III, I, p. 3.)

ولم يكتف فيكتور دى فيتا بالنقل عن المصدرين السابقين ، بل ضخم من حجم الأحداث وهول لها أكثر من معاصريها ، اذ كان يكتب تحت تأثير قوميته وتعصبه لمذهبه الكاثوليكى الذى عانى أتباعه أشد ألوان العذاب على يد الوندال الأريوسيين .

(39) Possidius, Vita Augustini, pp. 112 sqq.

والجدير بالذكر أن بوسيديوس شاهد عيان للاحداث التى يسردها ، لذا نقل عنه فيكتور دى فيتا كما سبق أن أوضحنا . وقد ترك الأسقف بوسيديوس أسقفيته جالمة ، ليقف بجوار سيده القديس أغسطينوس المحاصر فى هيبو . انظر : Possidius, p. 114.

(٤٠) بعد سقوط افريقية القنصلية فى قبضة الوندال ، أطلق عليها اسم زغوان Zeugitane اذ أورد فيكتور دى فيتا «Zeugitanam uel Proconsularem» انظر : Victor de Vita, I, 13, dans M. G. H. a. a., p. 4)

وكانت عاصمتها قرطاج

«Zeugi, quae procunsularis Antea Vocabatur CarthaGo»

انظر : Gautier, Genséric, p. 207.

Africa Proconsularis وبيزاسين [٤١] Byzacène

وبعد أن ألحق العاهل الوندالي الهزائم بالجيش الروماني على حدود افريقية القنصلية [٤٢] ، انسحب قائد الجيش المهزوم الى هيبور جياس (عنابة حاليا) Hippo Regius ، فقام جيزريك بمحاصرتها [٤٣] . فصمدت المدينة الغاصة باللاجئين في وجه الغزاة لمدة أربعة عشر شهرا [٤٤] ، حتى انتهى الأمر بسقوطها في قبضة الوندال . فكان نصيبها النار والدمار عن آخرها [٤٥] . ولم يحاول عاهل الوندال دخول سيرته

---

(41) Victor de Vita, t. III, I, p. 4.

وبيزاسين عاصمتها هدروميتوم Hadramentum وهى مدينة سوسه الحالية . وبيزاسين هى سهل تونس فى أيامنا هذه ، انظر :

Gautier, Genséric, p. 217.

(٤٢) انفرد بروكوبيوس دون غيره من المصادر بالاشارة الى هذه المعركة ، الا انه لم يحدد موقعها بدقة . انظر :

Procope, t. I. p. 323.

(٤٣) عن هذا الحصار . أنظر : Procope, t, I, pp. 323 sqq :

Possidius, Vita Augustini, p. 114 : Victor de Vita, t. III, 1. p. 4 ; Prosper, Chron., 1304, id. t. IX, p. 473.

والجدير بالذكر أن حصار هيبو بدأ فى يونيو سنة ٤٣٠م وأن القديس أغسطينوس توفى فى ٢٨ أغسطس سنة ٤٣٠م (انظر :

(Prosper Chron, 1304, dans M G. H. a. a., t IX, p 473

وحسب قول كاتب سيرته بوسيديوس ، فان القديس أغسطينوس توفى فى الشهر الثالث من حصار هيبو . أى أن شهر اغسطس هو الشهر الثالث للحصار .

(٤٤) فى هذا المعنى قال بوسيديوس فى سيرته للقديس أغسطينوس «ferme quatuordecim mensibus»

انظر Possidius, Vita Augustini, p. 114.

ولقد بدأ الحصار — كما سبق أن ذكرنا — فى يونيو سنة ٤٣٠ م وانتهى فى يوليو أو أغسطس سنة ٤٣١م .

(٤٥) عن مصير المدينة بعد سقوطها فى أيدى الوندال أنظر :

Possidius, p. 114.

Cirta (قسنطينة حاليا) وقرطاج عنوة • وأخيرا ، انعقدت الهدنة بين جيزريك والرومان فى الحادى عشر من فبراير ٤٣٥ م أصبح الونـدال بموجبها معاهدين Foedus وحلفاء للامبراطورية الرومانية مقابل أداء جزية خفيفة ، وسمحت لهم بالاستيطان فى مقاطعات موريتانيا الثلاث ، وقسم من نوميديا بما فيها جالمة • وأرسل جيزريك ابنه هنزيك رهينة مقابل هـذه الاتفاقية • وسرعان ما عاد هنزيك الى والـده بعـد فترة وجيزة [٤٦] •

على أية حل ، اعتبر جيزريك هذه المعاهدة مهلة تتيح له فرصـة التخلص من أى هجوم مفاجىء تقـوم به الامبراطورية الرومانية ، فتضيع عليه فرصة توطيد أقدامه فى البلاد المفتوحة • وعقب ابرامها ، عمل الزعيم الوندالى ما بوسعه لتعزيز قواته وتدعيم موقفه • ولما لم يبق له من مبرر للمهادنة ، طوى الأحداث طيا ، واستولى على قرطاج — عاصمة ولاية افريقية — دون مقاومة تذكر • اذ سقطت فى التاسـع

---

(٤٦) لم يشر الى هذه الاتفاقية كل من بروكوبيوس وفيكتور دى فيتا. اذ لم يذكر الا اتفاقية سنة ٤٤٢م . الا أن شهادة بروسبير وغيره من المؤرخين تؤكد وجودها . فقد أورد بروسبير الاتفاقيتين (أنظر :

Prosper, pp. 474 et 479. Cf. Le Laterculus regum wand. et. Alan. (H), I, id., t. XIII, p. 458 ; Cassiodore, Chron., 1225, id., t XI, p. 156 ; Isidore, Hist. Wand. 74, id., p. 297 ; Paulus Diaconus, p. 199.

ومما يبعث على الاندهاش أن الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران كان مصدره الأساسى عن هذه الاتفاقية مصنف بروكوبيوس (أنظر : مملكة الوندال فى شمال افريقيا ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٢٩ وحاشية رقم ٢). وله عذره فى ذلك ، اذ أن بروكوبيوس خلط بين الاتفاقيتين . أنظر :
Procope, t. I. p. 326.

عشر من أكتوبر سنة ٤٣٩م [٤٧] • وجعل جيزريك من احتلاله لقرطاج نقطة انطلاق لعهد جديد ، الى أن انتهى مطاف انتصاراته بابرام شهادة ميلاد مملكة الوندال فى الشمال الافريقى وذلك بموجب معاهدة جـديدة أبرمت سنة ٤٤٢م ، كانت هذه المرة لصالح الوندال خلافا لمعاهدة سنة ٤٣٥م • فبموجب المعاهدة الجديدة ، قنعت الامبراطورية الرومانية بأشد الجهات فقرا وأقلها استقرارا وهى : موريتانيا القيصـرية والسطيفية وجزء من نوميديا بما فيها سيرتا وبلاد طرابلس • أما جيزريك ، فقـد بسـط نفوذه كاملا ولا شك على افريقية القنصلية بما فيها قرطاج ومزاته وعلى جزء من نوميديا يشمل هيبو (عنابة حاليا) • ولم يرد ذكـر موريتانيا الطنجية التى كـانت تابعـة لأسـقفية أسـبانيا فى نص المعاهدة [٤٨] •

---

(٤٧) أكد بروسبير أن قرطاج سقطت فى أيدى الوندال فى العام السابع عشر من قنصلية ثيودوس الثانى ويقابل ذلك سنة ٤٣٩م • ويؤكد من ناحية ثانية أن المدينة خضعت للرومان ٥٨٥ سنة وهو رقم دقيق وصحيح اذ أن المدينة استولى عليها الرومان سنة ١٤٦ ق.م وقد اتفق هيدا س مع بروسبير اذ أورد أن المدينة سقطت فى العام الخامس عشر من حكم فالنتنيان الثالث (٤٢٥ — ٤٥٥م) • علما بأن العام الأول من حكم فالنتنيان الثالث كان سنة ٤٢٥م (انظر (Prosper, t. IX, p. 447. ,Hydace, t. XI, p. 23.)

وقد اتفقت غالبية المصادر على هذا التحديد التاريخى • أنظر :

Marcellinus comes, chron., a. 439/3, id.. t. XI, p. 80 ; Cassiodore, Chron, 1233, id., t. XI, p. 156 ; Le Laterculus regum wand. et Alan. (A), 2, id., t. XIII, p. 458.

والجدير بالملاحظة أن كل من فيكتور دى فيتا وايزيدور أوردا أحداث سقوط قرطاج فى ايدى الوندال دون تأريخ للحدث • أنظر :

Victor de Vita, t, III. 1, p. 4 ; Isidore, Hist. wand. 75, id., t, XI, p. 297.

(48) Victor de Vita, t. III, 1, p. 4 ; Polemius Silvius, Laterculus, 3, dans M. G. H. a. a, t. IX, p. 538

نظام الأراضى والجباية المالية :

وهكذا ، استقر الوندال فى الشمال الافريقى ، بعد أن عجزت الامبراطورية الرومانية بشـــطريها عن صد أخطارهم واقتلاعهم من افريقية • الا أنهم سلكوا فى سياستهم تجاه سكان البلاد الأصـــليين أكثر النماذج ذرها خاصة فيما يتعلق بجباية الضرائب ونظام الأراضى(٤٩) فالملك الوندالى جيزريك اختار أجود الأراضى المملوكة لكبار الأشراف والنبلاء والأثرياء ورجال الدين الكاثوليك ، وقام بتوزيعها وأصحابها رقيقا Servi على ولديه هنريك وجنزونى Genzoni • وبذلك احتفظ لنفسه ولأولاده بأجود الأراضى المنتجة ، ومنها تكون الخاص الملكى أو الدومين Dominicum ، وهى على حد تعبير فيكتور دى فيتا « أرض سيدنا جيزريك » Dominicus noster, Gaisericus • ويشمل هـــذا الدومين الضخم نوميديا وبيزاسين وبعض أجزاء من زغوان التى تعد أغنى الولايات فى شمال افريقية •

وصادر أملاك السكان الأصليين من الأفارقة عن طريق انتزاعات لم تخل من عنف وبطش وتنكيل • ولم يكتف جيزريك بمصادرة أرض وضياع الملاك الرومان ، بل صادر أيضا كل متعلقاتهم وأثاثهم وما لديهم من عبيد (٥٠) • وأجبرهم على تسليم كل ما هو ثمين من ذهب وفضـــة

---

(٤٩) سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٧٢ ، جـ ١ ، ص٨٩ ، محمد محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية — الاسكندرية ١٩٧٥ — ص١١٨ • أنظر أيضا :

Lot, La Fin du Monde antique et le début du Moyen Age, Paris, 1927, p. 290 ; et les Invasions Germaniques, p. 248.

(50) Procope, t. I, p. 333 ; Vita Fulgentii, I, éd. G. - G. Lapeyre, p. 11 (amissis omnibus bonis) ; Victor de Vita, t. III, 1, p. 4.

أنظر ايضا : ابراهيم على طرخان : شمالى افريقية والوندال ، ص١٢٩ — ١٣٠

وجواهر وأقمشة [٥١] • أما الذين حاولوا اخفاء ممتلكاتهم ، فقد تم نفيهم وتعذيبهم وقتلهم أحيانا [٥٢] • وقد ترك لنا بروكوبيوس وصفا رائعا لأحوال الشمال الافريقي ابان انتصارات جيزريك يقول فيه :
« اختار ملك الوندال من بين سكان أفريقية أكثرهم غنى وأعظمهم شأنا ، فانتزع أملاكهم وأثاثهم وسخر الرقاب بعد أن كبلها بسلاسل العبودية ، ثم جرد الأفارقة من أخصب أراضيهم وأوسعها ، فوزعها على الوندال • وقد سميت هذه القطع بقطع الوندال Sortes Vandalorum • ولم تزل محتفظة بهذا الاسم الى اليوم (أى حتى عصر كتابة بروكوبيوس لمصنفه)• ولم يلبث الملاك القدامى أن نزلوا الى أحط درجات البؤس، ولكنهم احتفظوا بحريتهم وأمكنهم أن يستقروا حيثما شاءوا • وأعفى جيزريك الوندال وابنيه من الضرائب على الأراضى التى تملكوها ؛ وأبقى لأهل البلاد جميع الأراضى التى اعتبرها ضعيفة الانتاج ، ولكنه أثقل كاهلهم بالضرائب فكانت تبلع محصولهم » [٥٣] •

هكذا ، يشير هذا النص بوضوح الى حالة العبودية التى كان عليها الملاك الأغنياء [٥٤] ، لكن الحوار الذى نقله فيكتور دى غيتا يدل على أن كل رومانى لم يهجر أراضيه كان يعتبر نفسه حرا [٥٥] • الا أنه ورد فى « سيرة القديس فلجنس » [٥٦] « Vita Fulgentii » تأكيدا على أن النفى فرض على غالبية كبار ملاك الأراضى •

---

(51) Victor de Vita, t. III, 1, p. 4.

(52) Procope, t. I, p. 334 ; Prosper, chron. t. IX, p. 447

(53) Procope, t. I, p. 333.

(54) Charles - André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1975, t. I, p. 239.

(55) Victor de Vita, I, 14, pp. 4 — 5. Cf. Julien, t.I, p. 239.

(56) Vita Fulgentii, p. 11.

على أية حال ، من المعتقد أن الوندال مكنوا الأفارقة من الحفاظ على أراضيهم أو البقاء فيها كعبيد أو بالأحرى معمرين (٥٧) • غير أن هذه الاجراءات لم تطبق الا فى جهة زغوان Zeugitane • فلم يلحق الممتلكات الا بعض التغيير اليسير الطفيف فى نظامها ، فقد تحولت الضيعات الى عائلات الوندال الذين كانوا يتسلمون من المهجرين الضرائب ، وقلما يشرف عليها مباشرة الملاك الجدد الذين كانوا منصرفين الى شئون البلاط أو الجيش ، بل كانوا يقتصرون على قبض المحاصيل التى كانت من الكثرة بحيث تمكنوا من أن يحيوا حياة البذخ ، وكان المشرفون بحق على المؤسسات الزراعية الموظفين Conductores كما هو الشأن من قبل • أما الفلاحون ، فلم يأسفوا على زوال النظام الرومانى ، بل انهم احتجوا بشدة عندما أقامت الحكومة البيزنطية هذا النظام من جديد • واذا تجاوزنا جهة زغوان ، وجدنا أن الأراضى أصبحت من أملاك الدولة ، الا أنها بقيت فى أيدى أصحابها ، وتحولت أملاك الامبراطورية الرومانية الى الملك الوندالى ، الذى ظل يتصرف فيها

(57) Ch. Saumge, Obserations sur deux lois byzantins relatives au «colonat» dans l'Afrique du Nord, dans Deuxiême Congres de la Fédératicn des Societes Savantes de l'Afrique du lord, (Tlemcen, 1936), t. II, 1, Alger, 1936, pp. 484 - 490.

وفى هذا المعنى يقول شارل أندريه جوليان

«On croit généralement que les Vandales permirent aux Africains de conserver leurs terres ou d'y demaurer en qualité de seris ou plutôt de colons».

أنظر :

Charles - André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, t. I, p. 239.

بوساطة نوابه [٥٨] .

الزراعـــة :

هذا عن التحول الذى طرأ على نظام الأراضى والجباية المالية فى الشـــمال الافريقى فى عهد الوندال . أما الزراعة ، فقـــد ظلت المورد الرئيسى للثروة . والحقيقة أن الشمال الافريقى نعم بحياة الرخـــاء والازدهار والانتعاش الاقتصادى وذلك قبيل الغزو الوندالى لأراضيه . فالمعروف أن الرومان كثروا وازدحموا فى ولاية افريقية الأصـــلية Africa Vetus ، وفى بيزاسين ونوميديا التى عرفت باسم « افريقية الجديدة » . ولذلك قامت معظم المدن الرومانية العامرة فيها . وتتميز هذه المنطقة الوسطى من شمالى افريقية بالخصب والثراء عما سواها ، ولا سيما ولاية افريقية ، وهى الولاية التى تعد أغنى بقعة فى شمالى افريقيا ، وبالتالى أكثرها ازدحاما . وفضـــلاً عن شهرتها فى انتاج القمح ، فهى مشهورة كذلك بزراعة الفواكه ، اذ يقول الشاعر هوراس Horas (٦٥ — ٢٧ ق.م) فى احـــدى أناشـــيده متغنيا بخصـــبها «Imperio Fertilus Africae» . ورغم أن نبيذ افريقية دون نبيذ أسبانيا وايطاليا ، الا أنها غنية فى محصول القمح ، وأسهمت مع مصر وصقلية فى امداد روما ومن بعدها القسطنطينية بالقمح ، بل انها تعتبر الولاية الهامة الثانية بعد مصر فى القارة السوداء ، من حيث كونها مخزن القمح للرومان ويؤكد هذا الرخاء والازدهار والانتعاش الاقتصادى وثيقة

---

(58) Courtois, l'Afrique et les Vandales, pp. 278 - 283, 283, ; Julien, t. I, p. 239.

وعن الـــ Conductores انظر : Julien, t. I, p. 162

أما زغوان ، فكانت أصغر ولايات الشمال الافريقى ، اذ تبلغ مائة ميل فى خمسين ميل تقريبا . وكانت عاصمتها قرطاج وتقع فى وسطها ، وضمت فى الغرب ديارهيتوس Diarrhytus وبوللارجيا Bulla Regia

Gautier, Genséric, p. 207.

وردت بألواح البرتيني بعنـــوان «Expositio totius mundi et gentium» من المرجح أنهـــا كتبت حوالي ســـنة ٣٥٠م جاء فيها : « أن الشمال الافريقي يعيش حياة زاخرة بشتى أنواع الثروات ، حيث تتوافر فيه كل الخيرات الالهية » (٥٩) • أما عن أحوال وطنه — الشمال الافريقي — بعد استقرار جيز ريك ، فقد ذكر فيكتور دى فيتـــا أن الوندال « وجدوا فى الشمال الافريقي السلام والهدوء ، وأن خيرات البلاد وجمال رونقها ، جذبت أنظارهم فانبهروا بها » (٦٠) كذلك انبهر بروكوبيوس بحق بثروات هذه البلاد التى فاقت خياله • ولاحظ بعين الفاحص المدقق أنها نعمت باكتفاء ذاتى وأرجع ذلك الى مواردهـــا الزراعية الهائلة والمتنوعة (٦١) • أما كوريبوس Corripus ، فقـــد لاحظ بدوره ما ساد الشمال الافريقي من رخاء عقب وصول البيزنطيين اليها (٦٢) • وهكذا كان الحال أيام السيادة الرومانية ، اذ كانت الغلال وأشـــجار الزيتون والكروم تمثل الثروة الرئيسية فى هذه البلاد (٦٣) • وكانت الوديان الداخلية لافريقية القنصلية وشرق بيزاسين من عداد الأقاليم المشهورة بانتاج مقادير هائلة من هذه المحاصيل • فقد ورد فى سيرة القديس فلجنس نصان يشيران الى غزارة الغلال والأشجار • الأول يتعلق باقليم سيكافنيريا Sicca Veneria (الكهف حاليا) •

---

(59) E. Albertini, Actes de vente du Ve siecle trouvés dans la région de Tébessa (Algérie), dans Journal des savants, Janvier, 1930, p. 30.

أنظر ايضا : ابراهيم على طرخان : شمالى أفريقية والوندال ، ص٧٦ .

(60) Victor de Vita, t. III, 1, p. 2.

(61) Procope, t. I, p. 432 et p. 451.

(62) Corripus, Iohan., III, 13 sqq : 28 sqq ; 67 sqq, dans M. G. H. a. a, t III, 2, pp. 28 et 29.

(63) Corripus, Iohan., I, 331 sqq., III, 31 sqq., dans M. G H. a. a., t. III, 2, pp 10 et 28 ; Victor de Vita, t III, I. pp., 54 - 55.

أما الثانى ، فيخص الاقليم الساحلى لبيزاسين [٦٤] • كذلك ذكر القديس أغسطينوس فى اعترافاته أن والده كان مواطنا متواضعا ، يسكن اقليم تاجست [٦٥] Thagaste ، وأنه كان يقوم بزراعة أشجار الكروم فى أملاكه الواقعة بالقرب من هذه المدينة • وعلى هذا ، يبدو أن الضواحى التى كانت تحيط بالمدن آنذاك ، كانت من أملاك ساكنى المدينة الذين يقومون بزراعتها [٦٦] •

ومما يذكر أن القمح والشعير كانا أساس غذاء الرومان والوطنيين الأفارقة [٦٧] • ففيما يتعلق بالرومان ، تكاد تكون معلوماتنا شحيحة ، اذ أن المثل الوحيد الذى نستند عليه هى قائمة طعام أحد الأديرة ورد فيها ذكر الخبز المصنوع من القمح [٦٨] • أما بالنسبة للوطنيين الأفارقة ، فكانوا يكتفون أحيانا بالخبز الجاف [٦٩] ، أو يأكلون الحبوب على حالها ، كما هى ، دون طحنها ولا خبزها [٧٠] • وكان الشعير — كما كان من ذى قبل — غلة الفقراء وطعامهم ، واعتبر استهلاكه دليل القناعة والاعتدال [٧١] • وقد أشار كل من فيكتور دى فيتا وبروكوبيوس

---

(64) Vita Fulgentii, VI et X, éd. G. - G. Lapeyre, pp. 35 et 59.

(65) S. Augustin, Conf., II, III/5, éd p. de. P. de Labriolle, t. I, p. 32.

(66) S. Augustin, Conf., II, IV/9, éd P. de Labriolle, t. I, p. 86.

(67) Vita Fulgentii, XXVII, éd. G. - G. Lapeyre, p. 127. Procope, B. V., II, 7, 3 - 4, éd J. Haury, t. p. 448.

(68) Vita Fulgentii ; XXVII, éd. G. - I. Lapeyre, p 127

(69) Procope, t. I, p. 448.

(70) Procope, pp. 444. sqq.

(71) Vita Fulgentii, XVI, op. cit. p. 83.

الى زراعته فى مواضع عديدة من مصنفيهما (٧٢) • ومن المحتمل أن المساحات المخصصة لزراعة الغلال قد انكمشت أثناء سيادة الوندال على الشمال الافريقى ، وبالتالى تكاد تكون الصادرات الى ايطاليا قد توقفت تماما بفعل العداء الصارخ بين الوندال وروما • أضف الى ذلك أن شعوب الشمال الافريقى من البربر فى شرق البلاد قد ازداد عددهم فجأة ، اذ أصبح تعدادهم يناهز الثمانين ألف نسمة بعد غزو الوندال لأراضيهم (٧٣) •

ونتج عن الزيادة السكانية أن شهد الاستهلاك المحلى للحبوب بالتالى زيادة ملحوظة أتت على الفائض القابل للتصدير • كذلك حدث فى أوائل القرن السادس الميلادى أن قام البربر فى بيزاسين بأعمال سلب ونهب واغارة كان من نتائجها سيطرتهم على أرض شاسعة أشبعت ظمأهم • الا أن الاضطرابات أضعفت الزراعة عامة وانتاج الغلال خاصة • وأخيرا ، فى أواخر عهد السيادة الوندالية على الشمال الافريقى ، شهد انتاج الغلال نقصا ملحوظا لم يشهده من قبل ، لشحة مياه الرى من ناحية ، وذيوع الفوضى والاضطراب نتيجة ضعف السلطة المركزية من ناحية أخرى (٧٤) •

على أية حال ، ظل الشمال الافريقى فى عهد الوندال — على حد قول فيكتور دى فيتا — بلدا زراعيا (٧٥) • فيذكر أن المحراث البدائى الذى تجره ثيران شابة كان يقوم بشق نفس خطوط المحراث السابق خطها فى عهد الرومان (٧٦) • وعلى هذا ، احتلت زراعة الغلال مكان

---

(72) Procope, t. I, pp. 444 sqq ; Victor de Vita, t. III, 1, p. 21.

(73) Victor de Vita, t. III, 1, p. 2.

(74) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 317.

(75) Victor de Vita, t. III, 1, p. 54 - 55.

(76) Victor de Vita, t. III, 1, p. 54.

الصدارة بين كافة المحاصيل الأخرى ، اذ كانت تغطى وادى أوتيك[٧٧] Utique ومرتفعات نوميديا التى استعمرتها روما . وقد ذكر بروكوبيوس أن اقليم ثموجادى (تمجاد حاليا) (Thamugadi (Timgad كان من أخصب الأقاليم المزروعة قمحا [٧٨] . وأشار فى موضع ثان من مصنفه الى زراعة القمح والشعير فى جزء كبير من أودية الأوراس ، خاصة فى اقليم باديس [٧٩] (بادس حاليا) — Badias (Badés) ، وأيده فى قوله هذا كوريبوس Corippus الذى لاحظ بدوره أن هذا المناطق تنتج محصولين فى العام الواحد[٨٠] . واستنادا الى اللوحات التى اكتشفها البرتينى ، قام البربر بزراعة القمح والشعير فى جنوب بيزاسين ، فى الأماكن المخصصة لهما جنبا الى جنب مع أشجار الزيتون [٨١] .

ومما يذكر أن أهمية القمح ازدادت فى العصر الرومانى ، لكون الشمال الافريقى مخزن غلال روما [٨٢] من ناحية ، ولقلة الاستهلاك المحلى مما أدى الى وجود فائض كبير قابل للتصدير من ناحية أخرى . الا أن الوضع تبدل فى عهد الوندال ، اذ ضعفت الأهمية الاقتصادية للغلال عامة ، والقمح خاصة ، بسبب زيادة الاستهلاك المحلى نتيجة

---

(77) Victor de Vita, t. III, 1, p. 15.

(78) Procope, t. 1, p. 511.

(79) Procope, t. I, p. 478.

(80) Corippus, Iohan., II, 156, dans M. G. H. a. a., t III, 2, p. 20.

(81) Ch. Courtois, dans Tablettes Albertini, pp. 201 sqq.

(82) Cod. Theod., XII, 6. 33, éd Mommsen, p. 722 (loi du 15 Fevrier 430). Cf. A. Lecocq, Le commerce de L'Afrique Romaine, dans Bull. de la Soc. de Géog. et d'Arch, d'Oran, t. XXXII, 1912, pp. 371 sqq.

الزيادة السكانية التى شهدتها البلاد ، والتى بدورها التهمت الجــزء الأكبر من فائض المحصــول القابل للتصدير كما سبق أن أوضحنا • وهكذا ، ارتقى شأن زراعة أشجار الزيتون على حساب الغلال ، فأصبح الزيتون يحتل مكانة اقتصادية هامة • (٨٣) • وقد اختلفت أهمية أشجار الزيتون من اقليم لآخر ، فعلى سبيل المثال فى نوميديا Numidie لم تكن لأشجار الزيتون مكانة تذكر ، اذ ظلت نوميديا أرض غــلال الشمال الافريقى (٨٤) • ولا يفوتنا فى هــذا المقام ذكر أهمية زيت الزيتون كسلعة غذائية ليس فقط لسكان الشمال الافريقى ، بل أيضا لعالم البحر المتوســط آنذاك والذى كان الشــمال الافريقى يوجــه صادراته الى مختلف بلدانه (٨٥) • وهكذا ، اقتسمت أشجار الزيتون مع القمح أخصب الأرض وأحسنها ، وبالتالى لم تقتصر ثروة الشــمال الافريقى على القمح دون غيره من المحاصيل الزراعية • ويمكن القول أن القمح وزيت الزيتون شكلا معا ثروة الشمال الافريقى (٨٦) • وتشير لوحات البرتينى هى أيضا الى أنه فى العقد الأخير من القرن الخامس الميلادى ، تربعت شجرة الزيتون على عرش الأشجار ، اذ غطت أغصان الزيتون المناطق الجنوبية من بيزاسين (٨٧) • أما كوريبوس ، فقــد أشار الى زراعة الزيتون فى مواضع عديدة متفرقة من نفس الاقليم(٨٨) •

---

(83) Ch. Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 318.

(84) S. Augustin, Serm, XLVI, XV/39, dans P.L.,t. XXXVIII, XXXIX, col. 244.

(85) Cod. Theod., XIV, 15, 3, éd. Mommsen, p. 790.

(86) De Tempore barbarico II, 6, éd. G. Morin, p. 205. Cf. Camps - Fabrer, L'Olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Alger, 1953, p. 13.

(87) Ch. Courtois, dans Tablettes Albertini. pp. 201 sqq.

(88) Corippus, Iohan, I, 534 sqq, dans M. G. H. a. a., t III, 2, p. 15.

كذلك أشار فيكتور دى يتا بدوره الى أهميته (٨٩) • وهكذا ، ظل الشمال الافريقى فى عهد الوندال الموطن الرئيسى لزراعة أشـــجار الزيتون واستخلاص زيته وتصديره الى الخارج (٩٠) •

ومع بقاء حفاظ أشجار الزيتون على أهميتها ، لم تحظ البساتين بنوع من الاهمال ، اذ انتشرت زراعة أشجار الفاكهة فى كل المناطق الشرقية من بيزاسين • فقـــد زار بروكوبيوس قصر ملوك الونـــدال فى جراســـا Grassa (٩١) ، وذكر أنه كان محاطا بحـــدائق كثيفة الأشجار ، مما أثار اعجاب البيزنطيين • واعترف صراحة بأنه لم ير جمالا كجمال هذه المدائن من قبـــل ، وأن بها أشـــجار مثمرة بكـــافة أنـــواع الفاكهة بلغت من غزارتها بحيث أشـــبعت الجيش البيزنطى بأكمله (٩٢) • ولاحظ أيضـــا بثاقب بصره غزارة المياه التى تروى حدائقه المثمرة (٩٣) • كذلك أشار فى موضع ثان من مصنفه الى خصوبة اقليم كابوت فادا (٩٤) Caput Vada (رأس كابوديا حاليا) وخاصـــة فى الجنوب (٩٥) ، اذ — على حـــد قوله — كانت البساتين تشـــغل

---

(89) Victor De Vita. t. III, 1, p. 54.

(90) Anthologia latina, 376. t. I, 1, 15, éd. A. Bûcheler et A. Riese, t. I, 1, p. 228.

(٩١) انفرد بروكوبيوس بذكر قصر جراسا دون غيره من المصادر ، ويقع هذا القصر الملكى على بعد حوالى ٧٣ كم من مدينة قرطاج Carthage شمال هدروميتوم Hadrumetum (سوسه حاليا) على الشاطىء أو على مقربة منه . انظر :

Procope, B. V., I, 17, 8 et 14 - 15.

(92) Procope, t. I, pp. 386 sqq.

(93) Procope, B. V., I, 17, 14 - 15.

(94) Procope, B. V., I, 16, I, éd. J. Haury, t. I, p 381

(95) Vita Fulgentii, X, éd G. - G. Lapeyre, p. 59.

مساحات شاسعة منه ، بحيث زينت الساحل تزيينا رائعا كأن المرء أمام لوحة خلابة من المناظر الطبيعية البديعة • كذلك كان الوندال المعسكرين فى افريقية القنصلية يحتفظون هم أيضا « بحدائق » حول ثكناتهم[٩٦] • ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل حتى سكان الجبال فى الأوراس خصصوا هم أيضا قسما من واديهم لزراعة أشجار الفاكهة[٩٧] •

ويبدو أن أشجار التين وأشجار اللوز كانت من بين الأشـجار الأكثر انتشارا فى جنوب بيزاسين[٩٨] • الا أنه لا يمكن مقارنتها بأشجار الكروم التى كانت تزرع حتى على المنحدرات القاحلة لجبال مراتا[٩٩] Mrata • ويؤخذ على فيكتور دى فيتا أنه أدرج أشجار التين واللوز فى نفس مستوى أشجار الزيتون[١٠٠] •

والجدير بالتسجيل فى هذا الصدد أن نصوصا عديدة أجمعت على أن زراعة الأشجار قد حافظت على ازدهارها فى عهد سيادة الوندال على الشمال الافريقى • فالقديس فلجنس S. Fulgence تمكن من انشاء حديقة على الأرض التى أهداها له سلفستريوس[١٠١] Silvestrius واذا كانت ألواح البرتينى قد تحدثت عن عمليات غرس أشـجار تين وزيتون جديدة وذلك بين أعوام ٤٩٣ و ٤٩٦م[١٠٢] ، فان هذا معناه أن هذه الأشجار قد غرست منذ عام ٤٣٩م ، بل أن أشجار الكروم التى

(96) Procope, t. I, p. 444.

(97) Procope, t. I, p. 478.

(98) Ch. Courtois, dans Tablettes Albertini, pp. 201 sqq.

(99) Tablettes Albertini, XI, 6, p. 253.

(100) Victor de Vita, t. III, 1, p. 54.

(101) Vita Fulgentii p. 59.

(102) Fici Nouellae, X, 5 et XI, 5-6, XXIV. 12, dans Tablettes Albertini, pp. 249, 253 et 283 ; oliuae nouellae ou nouae, III, 8 - 9 et XXIV, 11 - 12, id., pp. 218 et 283.

تسقط فروعها تمكنت ه النمو فى عصر سابق على الغزو الوندالى [١٠٣].
فضلا عن ذلك ، منذ عهد جيزريك ، حكم على الكاثوليكى ارموجست Armogast بحفر الحفر «Scrobes» فى اقليم بيزاسين . والمقصود من هذا المصطلح حفر يغرس بها أشجار الكروم . ويؤكد هذا التفسير أن فيكتوردى فيتا استخدم هذا المصطلح للدلالة علىنفس المعنىالمذكور، دون غموض ، عندما تحدث عن قصة جاموث Gamuth الذى حكم عليه فى عهد هونريك بنفس العقوبة السابقة [١٠٤] . على أية حال ، تخيل شعب الشمال الافريقى أن وطنهم أرض الخيرات والسعادة [١٠٥].
أما الوندال ، فقد تصوروا أن الشمال الافريقى بالنسبة لهم بمثابة أرض الميعاد والاستيطان الأبدى [١٠٦] .

وهكذا ، كان الشمال الافريقى غنيا بمختلف أنواع أشجار الفاكهة ، الا أن فيكتور دى فيتا أورد نصا عابرا فى مصنفه مفاده أن الوندال والبدو الرحل من البربر كانوا من ألد أعداء الأشجار ، فأتوا على جزء كبير منها [١٠٧] . الا أن هذا الاتهام لا يستند الى الحقيقة والواقع ، فمن المعتقد أنه أثناء الغزو الوندالى ، دبت الفوضى فى ربوع البلاد ، فاندلعت بعض الحرائق وأتت علىجزء من الثروة الشجرية. ثم أعقب ذلك استقرار الأوضاع ، فعادت الأمور الى سابق عهدها . قد أشار كوريبوس فى مواضع متفرقة من مصنفه الى كثافة أشجار

---

(103) Tablettes. Albertini, XI, 6, p. 253.

(104) Victor de Vita. t. III, I, p. 61.

(105) Victor de Vita, t. III, I, p. 2 ; De Tempore Barbarico. II, 5, éd. G. Morin, p. 204 (Hortus deliciarum).

(106) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 216.

(107) Victor de Vita, t. III, I. p. 2.

الفاكهة والغابات التى تغطى جبال بيزاسين [١٠٨] • ومع ذلك ، انه من الطبيعى أن يقوم الوندال بقطع الأشجار التى هم فى حاجة اليها • فالقديس فلجنس ، عندما أقدم على بناء ديره ، قام بقطع أشجار الصنوبر اللازمة له والمتوفرة بكثرة فى ضواحى رسباى [١٠٩] Ruspae • كذلك كان من الطبيعى استخدام أخشاب الأشجار لتسخين ماء الحمامات نتيجة استمرار تشييد الحمامات فى عهد الوندال [١١٠] • فالملك تراساموند (٤٩٦ — ٥٢٣ م) Thrasamund شيد فى منطقة الياناى Alianae حمامات حظيت بمديح الشعراء لرونقها وجمالها [١١١] • ومن المعتقد أنه شيدها على شواطىء خليج تونس [١١٢] ،وليس فى قرطاج كما يعتقد أودولان[١١٣] Audollent وعلى هذا ، يمكن القول أن الشمال الافريقى تعرض فى القرن الخامس الميلادى لذبح بعض أشجاره وازالة جزء من غاباته ، فأثر ذلك تأثيرا ضارا على الأحوال الزراعية •

على أية حال ، هناك عوامل أساسية تؤثر تأثيرا بالغا على زراعة

(108) Corippus, Iohan, t. III, 2, p. 16 ; II, 236, p. 21. II, 471, p. 27 ; III, 23 sqq, p. 28 ; III, 204 sqq, p. 32 ; III, 419, p. 37 ; IV - V, 650, p. 52 ; IV - V, 679, p. 53 ; IV - V, 690, p. 53 ; VI, 52 p. 65 etc....

(109) Vita Fulgentii, p. 83.

(110) Procope, t. I, p. 444. Cf P. Gaukler, Les thermes de Gebamund à Tunis. dans C.R. de l'Acad. inscript., 1907, pp. 790-795.

(111) Anth. Lat., 210 - 215 (Felix), éd. F. Bûcheler et A. Riese, 2 ; éd. t. I, 1, pp. 179 sqq ; 376, 20, id., p. 289;377 (Florentinus).. id ; pp. 289 sqq.

(112) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 228, n. 3.

(113) A. Audollent. Carthage, Romaine, Paris, 1901. p. 312, n. 5.

أشجار الفاكهة والغابات أهمها نظم الرى • ومن المعتقد أنه لم يطرأ عليها أى تغيير يذكر منذ عهد الرومان • ففى أوائل القرن السادس الميلادى ، استقبل ثيودوريك Théodric مسئول الرى aquilex الآتى من الشمال الافريقى استقبالا حافلا ، مما يؤكد أن أماكن تموين السفن بالماء العذب فى الشمال الافريقى قد ظلت تحتفظ بمكانتها الهامة فى عهد الوندال [١١٤] • أما بروكوبيوس ، فقد أوضح فى نص من نصوصه السلوكيات التى لا يزال يمارسها فى عصره سكان الشواطىء فى ابيجاس Abigas (حاليا وادى بوروغال ، المطل على السفح الشمالى لنهر الأوراس) ليستخدموا وقف مصالحهم وحاجياتهم مياه الجبل • اذ جاء بهذا الخصوص أن : « نهر ابيجاس ينبع من جبال الأوراس ، اذ ينزل من أعلاها فيصل الى السهل وبذلك يروى الريف بمياهه الغزيرة ، فيدب الفرح فى قلوب السكان ، ويقومون بتخزين مياهه و فق احتياجاتهم • ومما يذكر أن عديدا من القنوات المائية تشق السهل فتروى المحاصيل • ثم يخرج النهر ثانية بعد أن يعيد تجميع مياهه ، ثم يواصل جريانه بغزارة حتى أن مياهه تصبح فى متناول الزراع فيحملونها الى المكان الذى يريدونه عن طريق فتح أو غلق المجرى » [١١٥] • كذلك صورت لنا ألواح البرتينى — أكثر من غيرها من المصادر — صورة حية لشبكة الرى ، نستخلص منها استمرارية غزارة المحاصيل الزراعية كما كان حالها من قبل [١١٦] •

والجدير بالذكر أن الشمال الافريقى فى عهد الرومان كان يصدر الأخشاب دائما الى ايطاليا [١١٧] • أما فى عهد الوندال ، فقد استفاد

---

(114) Cassiodore. Variae, III, 53. dans M. G. H. a. a, t, XIII, pp. 108 sqq.

(115) Procope, t. I, pp. 509 sqq.

(116) Ch. Courtois, dans Tablettes Albertini, p. 203.

(117) Cod. Theod., XIII, 5, 10, éd. Mommsen, p. 750 (loi du 8 mars 364).

ملوكهم من هذه الأخشاب فى صناعة السفن (١١٨) وبالتالى لم يبق فائض قابل للتصدير • الا أن نصا ورد فى مصنف فيكتور دى فيتا أوقع بعض المؤرخين المحدثين — ومنهم سان جزل (١١٩) St. Gsell فى خطأ • اذ جاء فى « تاريخ اضطهادات الوندال » أن أسـاقفة كاثوليك من الشـمال الافريقى أبعدوا الى كورسـيكا ، وحكم عليهم بالأشـغال الشاقة ، أى حكم عليهم بقطع الأشجار اللازمة لبناء سفن الأسـطول الوندالى (١٢٠) • استنادا الى هذا النص ، اعتقد سان جزل أن الوندال لم يجدوا فى الشمال الافريقى المواد الخام اللازمة لصناعة السـفن خاصة الأخشاب ، لذا لجأوا الى أخشاب جزيرة كورسيكا (١٢١) • الا أن هذا الرأى يتنافى مع الحقيقة والواقع • فحطابى جيزريك ليسوا بحاجة للذهـاب بعيدا • فعلى مقربة من قرطـاج على الحدود التونسـية الجزائرية ، جبال خمير Kroumirie التى تهبط عليها أمطار سـنوية تقدر بحوالى ١٧٠٠ مم • فكان من نتيجة غزارة الأمطار نمو غابات كثيفة زودت الوندال بالأخشاب اللازمة لهم لصناعة سفن أسطولهم (١٢٢) ، الى جانب أخشاب جزيرة كورسيكا (١٢٣) •

المجاعات والأوبئة :

وعلى الرغم مما تقدم ، شهد الشمال الافريقى فى عهد الونـدال مجاعات مفزعة • ولم تكن هذه المجاعات جديدة على البلاد ، اذ حدثت أبشع منها فى عهدى الرومان والبيزنطيين • ففى عهد الرومان ، راح

---

(118) Gautier, Genséric, p. 218.

(119) St. Gsell, Histoire de l'Afrique du Nord, t. I, p. 155.

(120) Victor de Vita, t. III. I, p. 45.

(121) St. Gsell, p. 155.

(122) Gautier, p. 218 ; Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 318, n. 9.

(123) Courtois, p. 318.

الشمال الافريقى ضحية مجاعة فتكت بشعبه وبكل كائن حى ، أورد ذلك أميانوس مرسللينوس Ammianus Marcellinus فى مصـــنفه Rerum Gestarum تحت أحداث سنتى ٣٦٦ — ٣٦٧م [١٢٤] .
وقد انعكست عواقب هذه المجاعة على أسعار القمح ، اذ شاهدت آنذاك ارتفاعا لا مثيل له من قبل [١٢٥] . أما فى عهد الوندال ، فقد أشـــارت المصادر الى مجاعتين : الأولى أدرجها بروكوبيوس فىمصنفه «الحروب الوندالية » De Bello Vandalico تحت أحداث سنة ٤٣١م ، اذ ذكر أن جيزريك اضطر الى رفع الحصار عن هيبو رجيوس (عنابة حاليا) Hippo Regius بسبب المجاعة التى تفشت بين صفوف جيشه [١٢٦] .
أما المجاعة الثانية ، والتى حدثت سنة ٤٨٤م فى عهد هونريك (٤٧٧ — ٤٨٤م) Huneric ، فكانت أبشع وأفتك من المجاعة الأولى . وقد عاش أحداثها المؤلمة المؤرخ المعاصر فيكتور دى فيتا Victor de Vita فانفرد دون غيره من المصادر بتزويدنا فى الفصول الأخيرة من مصدره « تاريخ الاضطهادات التى عانت منها مقاطعة افريقية على عهدى ملكى الوندال جيزريك وهونريك » Historia persecutionis Africae Geiserici et Hunerici regum Wandalorum provinciae temporibus

بوصـــف يتســـم بالحيوية البالغة والمؤثرة لهـذه الســـحابة الداكنة التى مرت بالشمال الافريقى — موطنه الأصلى — فى عهـد أعداء بلاده الوندال ، اذ أرجع هذه المجاعة الى انعدام سقوط الأمطار ، وبالتالى تحولت الأرض — على حد قوله — الى صحراء قاحلة ، فتيبست أشجار الكروم ، أما أشجار الزيتون ، فقد أصابها الجفاف بعد أن أتت

---

(124) Ammianus Marcellinus, Res Gestae, XXVIII, I, 17 sqq., éd. Gardthausen, t. II, p. 129.

(125) H. Renault, Le Prix du blé à Carthage à la fin du IVe siècle, dans Rev. Tunisienne, t. XX, 1913, pp. 612 - 622.

(126) Procope, t. I, p. 324.

حرارة الشمس القوية عليها • كذلك نضبت منابع المياه ، ونفقت جموع لا تحصى من الحيوانات ، وهبت الرياح الشرقية الحارة ، فاندلعت ألسنة اللهب والتهمت النيران كل شيء مرت به في طريقها • هكذا انتشرت المجاعة في كل فج وصوب ، وجرت الى موكبها المدمر ضحايا بشرية لا حصر لها • أما سكان الجنوب ، فقد نزحوا الى العاصمة قرطاج وفي صحبتهم قطيعهم من الحيوانات الأليفة البائسة • ففي سرد تفصيلي محزن رسم لنا فيكتور دى فيتا لوحة معبرة حين قال : « يرى المرء جماعات من الشباب والشيوخ والفتيان والفتيات والأطفال ذكورا واناثا تسير على غير هدى وبلا نظام في الطرقات كأنها تسير في جنائز • وكان هؤلاء البؤساء ينقادون في سيرهم الى المراكز المحصنة والقرى والمدن ••• وعندما تشتتوا في الحقول ، ووصلوا الى أعماق الغابات تسابقوا على أكل الأعشاب اليابسة وأوراق الأشجار المتساقطة ••• وتحولت الجبال والهضاب والساحات والشوارع والطرقات الى مقابر غصت بجثث ضحايا المجاعة المفزعة » • وزاد الطين بلة انتشار مرض الطاعون ، ففتك بجموع غفيرة من سكان الشمال الافريقي (١٢٧) • هكذا كانت مجاعة سنة ٤٨٤م من أبشع وأفتك المجاعات التي مرت بالبلاد ، ربما بسبب السرد التفصيلي لأحداثها الذي خلفه لنا شاهد العيان فيكتور دى فيتا والذي — مما لا شك فيه — لا يخلو من شيء من المبالغة ، هادفا من هذا التشهير اظهار المصائب الالهية التي ألمت ببلاده وهي رازحة تحت نير المستعمر الوندالي ، والذي صنف مؤلفه خصيصا لاظهار ما عانته بلاده من صنوف العذاب والاضطهاد على يد « سلالة الثعابين » تلك ، التي حولت الشمال الافريقي — على حد قوله — الى « جحيم » (١٢٨) • ولم يتورع في موضع ثان من مصنفه من وصف الوندال بأنهم « شعب دموي ورديء » اذ قال في هذا

---

(127) Victor de Vita, t. III, 1, pp. 54 - 55.

(128) Victor de Vita, t. III, 1, p. 56.

المعنى « Populus ille crudelis ac saeuus » (١٢٩) الا أن المبالغة الواضحة الواردة فى مصنف « تاريخ اضطهادات الوندال » بخصوص وصف مجاعة سنة ٤٨٤م لا تعنى أن العصر البيزنطى لم يشهد أى مجاعة • فبعد عودة الشمال الافريقى الى حظيرة الامبراطورية البيزنطية سنة ٥٣٤م ، أشار كوريبوس Corippus الى مجاعة حدثت سنة ٥٤٣م ، الا أنه لم يزودنا بتفاصيلها الدقيقة كما فعل فيكتور دى فيتا ، بل أشار اليها اشارة عابرة (١٣٠) • ويبدو أنه ليس من المستحيل — على الرغم من الرخاء المعتاد الذى ساد الشمال الافريقى آنذاك — أن تشهد البلاد من وقت لآخر ، أعواما من الجفاف ، يعقبها تفشى المجاعات والأوبئة • حدث ذلك طوال تاريخ بلاد المغرب الكبير •

الثروة الحيوانية والمراعى :

هذا عن الزراعة فى الشمال الافريقى وما طرأ عليها من تغيير فى عهد الوندال بقدر ما تسمح به النصوص والمصادر التى يؤخذ عليها أنها تتسم بالشح البالغ • واذا انتقلنا الى الحديث عن الحيوانات الأليفة والمراعى ، فالملاحظ أن المراعى شهدت نوعا من الازدهار ، اذ تمتعت الخيول بمكانة بالغة ، فهى عماد الجيش الوندالى • فمنذ عهد جيزريك شكل سلاح الفرسان أساس الجيش • والجدير بالتسجيل فى هذا الصدد أن جيزريك حين عزم على غزو الشمال الافريقى ، حمل معه على متن سفنه أعدادا هائلة من الخيول (١٣١) ، وقد ظلت الخيول

---

(129) Victor de Vita, I, 1, p. 1.

(130) Corippus, Iohan., III, 343 sqq.. dans M.G.H.a.a, , III, 2, p. 35.

(131) Sidoine Apollinaire, Carm., V, 399, 413 sqq, dansM.G. H.a.a., t. VIII, pp. 197 - 198.

عماد الجيش الوندالى فى العقود التالية لعهد جيزريك [١٣٢] • لذا يبدو أن بروكوبيوس كان على حق حين أكد أن الجيش الوندالى تشكل بأكمله من سلاح الفرسان ، وأنه لم يعرف سلاح المشاة ؛ بل ولم يكن باستطاعة جنوده القتال وهم مشاة [١٣٣] • ويتضح صدق قوله اثر الهزيمة التى ألحقها البربر بالوندال فى عهد تراساموند (٤٩٦ — ٥٢٣م) Thrasamund وذلك قبيل عام ٥٢٣م ؛ اذ لاذت خيول الوندال بالفرار من ساحة الوغى بمجرد رؤية جمال البربر • فيقال أن خيول الوندال كانت تجفل من منظر الجمال وحركاتها [١٣٤] • ولم تقتصر أهمية الخيول فى كونها من أساسيات الجيش الوندالى فحسب ، بل كانت أيضا — على حد قول بروكوبيوس — عماد توزيع البريد ، فتقوم بنقله من مكان الى آخر [١٣٥] • كذلك أشار فيكتور دى فيتا الى أن الخيول كانت وسيلة الركوب المفضلة عند أعيان البلاد [١٣٦] • وبينما حظيت الخيول بتلك المكانة الهامة ، يذكر فيكتور دى فيتا أن الحمير لقيت احتقارا جائرا [١٣٧] ، فقد تقاسمت مع البغال [١٣٨] والجمال أعباء نقل البضائع والمحاصيل ، وأحيانا كانت هذه الحيوانات تعلق فى عربات نقل متواضعة • ومع ذلك ، يبدو أن الجمال لم تلعب دورا يذكر عند الوندال ، اذ انفرد فيكتور دى فيتا — دون غيره من المصادر —

---

(132) Procope, B.V., I. 8, 20 ; I, 8, 27 sqq ; I, 19, 15 ; I, 23, 7. éd J, Haury, t. I, pp. 349, 350, 393, 407 ; Corippus. Iohan., III, 244 et 253, dans M.G.H.a.a., t, III, p, 33

(133) Procope, t. I, p. 350.

(134) Procope. t. I, pp. 348 sqq. Cf. E - F. Gautier. Le Passé de L'Afrique du Nord, Paris, 1937, pp. 195 sqq.

(135) Procope, t. I, p. 384.

(136) Victor de Vita, t. III, I, p. 18.

(137) Victor de Vita, t. III, I, p. 16.

(138) Victor de Vita, III, I, p. 19.

بالاشارة الى أحد الجمالين [١٣٩] • ويذكر بروكوبيوس أن الوندال كثيرا ما استخدموا الثيران كحيوانات جر [١٤٠] • على أية حال ، استنادا الى نص فيكتور دى فيتا ، كانت الثيران تقوم بجر المحراث [١٤١] • وقد أكـدت ذلك فسيفساء شرشال [١٤٢] • ومن المعتقد أن الثيران والأغنام كانت أساس الثروة الحيوانية فى الشمال الافريقى فى عهد الوندال [١٤٣] • وقد أخطأ سان جزل حين ادعى أنه لا توجد اشارات عن الثيران المتوحشة فى الشمال الافريقى فى العهد الرومانى الا اشارة أوردها اليان [١٤٤] Elien • أما فى عهد الوندال ، فلم تذكر المصادر — على حد قوله — شيئا عنها [١٤٥] • وهذا القول يتعارض مع نص أورده فيكتور دى فيتا ، أشار فيه الى وجود «الثيران المتوحشة»[١٤٦] «Boues indomiti»

ومما لا شك فيه أن النصوص تشير وتتحدث عادة عن الثيران الأليفة ، فضلا عن ذلك ، فالمجاعة التى حدثت سنة ٤٨٤م ، أتت على الأبقار والأغنام [١٤٧] • ومما يذكر أيضا أن اقليم بيزاسين كان من أشـــهر

---

(139) Victor de Vita, t. III, I, p. 12.

(140) Procope, t. I, p. 383.

(141) Victor de Vita, t. III, I, p. 57.

(142) عن لوحة الفسيفساء هذه انظر :
St. Gsell, Cherchel, antique Iol Caesarea
mis à Jour par M. Leglay et E. - S. Colozier), Alger, 1952, p. 59.

(143) St. Gsell, Histore ancienne de l'Afrique du Nord, t. I, p. 127.

(144) Elien, De nat. anim., XIV, II. éd. R. Hercher. t. I, p. 346.

(145) St. Gsell, t. I. p. 127.

(146) Victor de Vita, t. III, 1, p. 19.

(147) Victor de vita, t. III, 1. p. 54.

الأقاليم الرعوية التى تربى فيه مختلف أنواع الحيوانات (١٤٨) • أضف الى ذلك أن فيكتور دى فيتا تحدث عن وجود حظائر لتربية الأبقار ليست ببعيدة عن قرطاج (١٤٩) • ولم تذكر المصادر شيئا يحدد بدقة مدى اقبال سكان الشمال الافريقى على أكل لحوم الثيران • الا أنه من المؤكد أن هذه الثروة الحيوانية الضخمة كانت تغطى حاجة الاستهلاك المحلى للسكان فى عهد الوندال ، بل كانت تفيض كميات هائلة للتصدير •

الصناعة :

هذا عن الثروة الحيوانية ووفرتها فى الشمال الافريقى • فاذا انتقلنا الى الحديث عن الصناعة ، فنلاحظ أن الآثار التى خلفها الوندال لم تتعد أدوات زينة وأوانى منزلية ، تدل فى زخرفتها على الطابع الجرمانى أو البربرى الذى عرف عند الشعوب الجرمانية الأخرى • فمن الآثار الوندالية التى عثر عليها بعض رؤوس الدبابيس والمشابك والأبازيم والمجوهرات • اذ عثر قرب مدينة هيبورجيوس فى أحد قبور الوندال على بعض المجوهرات وأدوات الزينة • كذلك عثر فى قبر سيدة وندالية على عقد جميل من العقيق والزجاج الأحمر والأخضر • ووجد فى قبر رجل وندالى مشبكان كبيران ، مما يستعمل لتثبيت الثوب على الكتف • ووجدت أيضا مجموعات أخرى من هذه الأدوات وعلى بعضها صور للمحاربين • على أية حال ، من الملاحظ أن المصادر لم تشر الى الصناعة الا اشارات عابرة لا تزود الباحث الا بفكرة غير كاملة عنها • اذ نستخلص أنها لم تزدهر عما كانت عليه أيام الرومان ، فلم تتعد نطاق الحرف المتوسطة الجودة • فقد انتشرت صناعة الأوانى المنزلية المصنوعة سواء من الخشب أو من الفخار أو من المعدن (١٥٠) •

---

(148) Corippus, Iohan., t. III, 2, p. 31.

(149) Victor de Vita, t. III, 1, p. 11.

(150) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 316.

أنظر أيضا : ابراهيم على طرخان : شمالى افريقية والوندال ، ص ١٥٩ .

كذلك عثر بعض علماء الآثار فى عديد من مدن الشمال الافريقى على نوع من المصابيح مصنوعة من طين أحمر • وكان الشكل المعتاد لهذه المصابيح عبارة عن اناء مخروطى الجزع ، يعلوه غطاء مخروطى هــو أيضا • أما الجزء الأوسط ، فكان متسعا ، وعنقه يشبه عنق القنينة[١٥١] • وانتشرت أيضا صناعة الملابس الشعبية [١٥٢] • الا أنه لم يمض نصف قرن على الوجود الوندالى فى الشمال الافريقى حتى انتشرت الملابس الحريرية التى أطلق عليها اسم « سريكا » [١٥٣] Serica • أمــا عن الأسلحة ، فلم يشر اليها الا فيكتور دى فيتا ، أشار اليها فى اطــار الملكية الشخصـــية ، اذ ألمح الى أحد صناع الأسلحة armifactor كان يمارس هذه الصناعة لصالح أحد رؤساء الألف [١٥٤] millenarius كان يعمل فى خدمته ، مما يدل على أن هذه الصناعة كانت بمثابة صناعة منزلية لصالح شخص مرموق فى المجتمع الوندالى • فرئيس الألف كان على رأس مجموعة ألف شخص من بينهم النساء والأطفال والجنود والعبيد والرجال الأحرار [١٥٥] • أضف الى ذلك أنه عثر فى الشمال الافريقى فى عهد الوندال على مجوهرات زعم أنها من صنع الوندال ، الا أنها كانت من الصـــناعات المحلية الوطنية ، أى قام بصنعها أهل الشمال الافريقى من البربر [١٥٦] • وقد عثر على طبق من الفضة يرجع الى عهــد جليمار منقوش عليه « جليمار ، ملك الونــدال والآلان »

---

(151) F. De Cardaillac, Histoire de la lampe antique en Afrique, dans Bull. de la Soc. de Géog. et d'Arch. D'Oran, t.X, 1890, pp. 321 - 322 .

(152) Courtois, op. cit., p. 316.

(153) Procope, t. I, p. 444.

(154) Victor de Vita, t. III, 1, p. 8.

(155) Courtois, op. cit., p. 217.

(156) Courtois, op. cit., p. 316.

Geilamir, rex Vandalorum et Alanorum ، ولاعـلاقة لهذا الأثر بالطراز الفنى الجرمانى السائد آنذاك (١٥٧) • ومما يذكر أن الوندال استمروا فى اســتغلال المناجم المنتشرة فى ربوع الشــمال الافريقى ،اذ ذكر فيكتور دى يفتا أن الأساقفة الكاثوليك قاموا بتأدية عقوبة الأشغال الشاقة فى المناجم (١٥٨) • وكان من الطبيعى أن توفر هذه المناجم المواد الخام اللازمة لصناعة النقود البرونزية والفضـية التى كانت تسك فى قرطاج • وبناء على ما تقدم ، استمر ملوك الوندال فى اســتخدام دار سك العملة التى كانت موجودة قبل مجيئهم الى الشمال الافريقى أى على عهد الرومان (١٥٩) • لذا ، نلاحظ أن الوندال كانت تشبه تقريبا نقود الرومان • ذلك أن ملوك الوندال كما تصورهم نقودهم كانوا يرتدون الزى الرومانى • ومنذ عهد جونتاموند (٤٨٤ — ٤٩٦م) ظهر على النقود اكليل الاباطرة وحلة القيادة Paludamentum ودروعهم • وكانت النقوش تسمى الملك « مولانا » Dominus Noster حينا ، « وملك » REX أحيانا • وغالبا ما كانت النقود تمثل امرأة تمســك بيدها ســنابل القمح ، وترمز بذلك الى قرطــاج الســعيدة Felix Carthago ، وهى صورة مستوحاة من نقود دقلديانوس وخلفائه • والجدير بالملاحظة أن الصور المنقوشة على العملة لم تكن تخلو من بعض التكلف ، الا أن العملة المسكوكة لم تكن أسوأ مما انتجته المعامل الأخرى الموجودة فى القرن الخامس وأوائل القرن السادس (١٦٠)

ومن المعتقد أن صناعة البناء لم تحظ بازدهار ، علما بأن المعلومات الواردة فى المصادر عن الأبنية المشيدة فى عهد الوندال تكاد تكــون

---

(157) Courtois, op. cit., p. 229.

(158) Victor de Vita, t. III, 1, p. 57.

(159) A. Audollent, Carthage Romaine, pp. 333 sqq.

(160) Charles - André Julien, t. I, pp. 245 - 246.

معدومة . الا أن بروكوبيوس أشار الى استمرارية بناء الحمامات خاصة فى عهد تراساموند [١٦١] . وفى نهاية مطاف الصناعات فى الشمال الافريقى يأتى فى مرتبة الصدارة صناعة بناء السفن بعد أن كانت هذه الصناعة لا تحتل مكانا يذكر على عهد الرومان . ويرجع هذا الازدهار الملحوظ الذى شهدته هذه الصناعة الى سلسلة الاغارات البحرية المتتالية التى مارسها جيزريك فى البحر المتوسط ، اذ كانت البحرية بالنسبة له تأتى فى مرتبة سابقة على الجيش البرى ، وبالتالى احتل الأسطول الوندالى مركز الصدارة بين أساطيل البحر المتوسط آنذاك خاصة بعد تحقيقه الانتصار تلو الآخر على الأساطيل البحرية وقد أشار بروكوبيوس الى ترسانة بناء السفن الموجودة فى ميسوا (سيدى داوود حاليا) Missua الموجودة على الشاطىء الغربى لرأس بون Cap Bon وذكر أنها تعد أهم الترسانات البحرية الموجودة فى عالم البحر المتوسط آنذاك [١٦٢] . وقد ساعد توفر الأخشاب والمعادن فى الشمال الافريقى على ازدهار هذه الصناعة ، أضف الى ذلك أطماع جيزريك التى لا حدود لها .

هكذا حظيت صناعة السفن بازدهار ملحوظ دون غيرها من الصناعات التى أصاب معظمها بعض الانكماش . فهذه الصناعة تتفق مع رغبات الوندال فى توسيع رقعة أملاكهم ، اذ أكدت سيطرتهم على الشمال الافريقى ومعظم جزر البحر المتوسط ردحا من الزمن .

---

(161) Procope, t. I, p. 444, Cf. P. Gauckler, Les thermes de Gebamund à Tunis, dans C. R., de l'Acad. des Inscript., 1907, pp. 790 - 795 ; Audollent, op. cit., p. 312, n. 5.

(162) Procope, t. I, p. 448.

التجارة الداخلية :

هذا عن الصناعة وما أصابها من انكماش يسير فاذا انتقلنا الى التجارة الداخلية ، نلاحظ شح المعلومات الواردة عنها فى المصادر • ومع ذلك ، فلسنا فى حاجة الى غزارة النصوص لتأكيد وجودها • فقد أشار بروكوبيوس الى وجود حوانيت يمتلكها تجار التجزئة على امتداد شوارع قرطاج (١٦٣) • وذكر فى موضع آخر من مصنفه أن الفلاحين كانوا يتنقلون محملين بمحاصيلهم وبضائعهم لبيعها فى أقرب مدينة مجاورة لهم (١٦٤) • الا أننا نجهل تماما — لسوء الحظ — طبيعة التبادلات التجارية وصفة اتمامها • لكن ألواح البرتينى أكدت أن أسعار المنتجات المصنعة كانت أكثر ارتفاعا من أسعار الحاصلات الزراعية(١٦٥) •

هكذا ، كانت المعاملات التجارية متواضعة ، فانعكس ذلك بالتالى على المعاملات النقدية (١٦٦) • فاذا كانت معلوماتنا غير دقيقة عن قيمة النقود البرونزية ، الا أنه مما لا شك فيه أنها كانت ضئيلة القيمة ، اذ كانت أصغر قيمة لعملة نقدية مضروبة فى عهد الوندال هى العملات البرونزية الصغيرة • وقد عثر على نماذج ونسخ عديدة منها فى الشرق الجزائرى تطابقت مع ما أشير اليه فى ألواح البرتينى تحت اسم فولليس (١٦٧) Follis • ولا نعلم على وجه الدقة أكبر هذه العملات

(163) Procope, t. I, pp. 401 sqq.

(164) Procope, op. cit., p. 383.

(165) Courtois, dans Tablettes Albertini, pp. 204 sqq.

(166) M. Troussel, Les Monnaies vandales d'Afrique. Decouvertes de Bou-Lilate et du Hamma, dans Recueil des notices et Memoires de la Soc. Arch. de Constantine, t. LXVIII, 1950 - 1951, pp. 147 - 192.

(167) Courtois, dans Tablettes Albertini, p. 203.

قيمة ، الا أننا نجد الرمز IIII (أربعة) منقوشا على بعضـــها • ومن الواضح أنه يمثل قيمتها ، بل ربما يمثل العدد المناسب للفوللّيس • لكن لا نعرف بدقة قيمتها الحسابية • وهذه الأعداد ليس لها فى الحقيقة أى قاسم مشترك بينها [١٦٨] • أما بالنسبة للعملات الفضية فئة ٢٥ و ٥٠ و ١٠٠ دنييه deniers والتى كانت تزن على التوالى ٦٢٥ر• و ٢٥ر١ و ٥٠ر٢ جم تقريبا ، يبدو أن هذه العملات أيضا لم تكن تشكل مبلغا ذات قيمة [١٦٩] • أما عن علاقة الذهب بالفضة ، فكانت واحد الى ٣٨ تقريبا [١٧٠] • ويرجع سبب ارتفاع قيمة الذهب الى ندرة العملات الذهبية ، وبالتالى زيادة قيمتها بمقارنتها بالعملات الفضية • وعـلى هذا ، فان ملوك الوندال لم يسكوا نقودا ذهبية قط [١٧١] •

التجـارة الخارجية :

هكذا ، نخلص الى القول أن التجارة الداخلية كانت ضـــعيفة ، رغم أن هذا القول لا يستند الى احصاءات ولا نصوص تؤكده تأكيدا قاطعا • الا أن ضعف قيمة العملة وقلة تداولها من الدعائم القومية المؤكدة لما خلصنا اليه • على أية حال ، لم تكن التجارة الداخلية أكثر ازدهارا من التجارة الداخلية • فالأسطر القليلة الواردة فى بعض المصـــادر التاريخية تؤكد وجود علاقات ضيقة بين الشمال الافريقى ومختلف بلدان غرب البحر المتوسط من جهة ، وبين الشمال الافريقى والشرق

---

(168) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 320, n. 15.

(169) Courtois, op. cit., p. 320.

(170) Courtois, op. cit., pp. 320 - 321, n. 17.

(171) P. Le Gentilhomme, Le Monnayage et la circulation monétaire dans les Royaumes Barbares en Occident (Ve - VIIIe siecle), dans Rev. Numismatique, 5' Serie, t. VII, 1944, pp. 84 sqq.

من جهة أخرى • اذ كانت هناك علاقات تجارية ساعد على تدعيمها وازديادها تجار بلاد الشام ، فقد قاموا بربط مختلف الاصقاع الخاضعة لسيادة الوندال بعضها ببعض ، كذلك كانوا حلقة وصل بين مملكة الوندال ومختلف بلدان البحر المتوسط • على أية حال ، أشار كل من فيكتور دى فيتا وبروكوبيوس الى العلاقات التجارية القائمة بين الشمال الافريقي واسبانيا[١٧٢] • كما ورد في سيرة القديس فلجنس وبروكوبيوس أيضا أن هناك تبادلا تجاريا بين الشمال الافريقي وكاراليس[١٧٣] Caralis ، أى جزيرة سردينيا ، وبين الشمال الافريقي وصقلية[١٧٤] • أما انوديوس Ennodius ، فقد تحدث عن العلاقات التجارية بين الشمال الافريقي وايطاليا[١٧٥] • وأخيرا ، أشار كل من ملخوص Malchos وبروكوبيوس الى وجود علاقات بين شمال افريقيا والشرق[١٧٦] • ومما يذكر أن بروكوبيوس عندما نزل فى سيراكيوز وجد أحد مواطنيه — أى أحد الشوام — كان شغله الشاغل ممارسة التجارة فى هذه الجزيرة ، وكان أحد موظفيه عائدا لتوه من قرطاج[١٧٧] • ومن المعتقد أن التجار المشارقة كفوا عن الاتجار مع

---

(172) Victor de Vita, t. III, 1, p. 48 (Tipasa) ; Procope, t. I, p. 437 (Hippo Regius).

(173) Vita Fulgentii, X, p. 59 ; XIX, p. 97 ; XXI, p. 107 ; XXIII, p. 111 ; Procope, t. I. p. 313.

وكاراليس هو ميناء كاجاليا رى أهم موانىء جزيرة سردينيا .

(174) Vita Fulgentii, VIII, p. 47 (Carthage - Syracuse) : Procope, t, I, p. 374.

(175) Ennodius, Epist., CL., dans M.G.H.a.a, t, VII, p 143

(176) Malchos, Fr. 13, dans F.H.G. éd. Müller t. IV, p. 120 : Procope, t, I, p. 397.

(177) Procope, t. I, p. 374.

الشمال الافريقى فى عهد جليمار (٥٣٠ — ٥٣٤م) بعد أن قام بالقبض على البعض منهم ، وزجهم في سجونه اذ اتهمهم بالتجسس لحساب الامبراطور البيزنطى وتحريضه علىشن الحرب ضده[١٧٨]. أما التجار الأفارقة «negotiatores» ، فلم يختفوا من الساحة التجارية على حد قول فيكتور دى فيتا [١٧٩] . ففى عصر جيزريك ، ترددوا — كما اعتادوا من قبل — على موانىء الشرق [١٨٠] . أما عاصمة مملكة الوندال قرطاج ، فقد اختلط فيها تجار من كافة الأجناس خاصـــة فى حى ماندرأكيوم Mandracium ، أى حى المينـــاء الذى ظل حى التجار الأجانب والقرطاجيين على السواء [١٨١] .

وقد شهد عصر هونريك نوعا من الازدهار التجارى ، لذا صرف العاهل الوندالى مبالغ طائلة لاعادة تنظيم أرصفة ماندراكيوم ، ميناء قرطاج [١٨٢] .

الواردات والصادرات :

واذا انتقلنا الى الحديث عن الواردات والصادرات ، فيبدو أن الشمال الافريقى كان يصدر الأقمشة المحلية والشعبية [١٨٣] . أمـــا

---

(178) Procope, t. I, p. 397.

(179) Victor de vita, t. III, 1, pp. 50 - 51.

(180) Malchos, Fr. 13, dans F.H.G., Müller, t. IV, pp. 120 sqq.

(181) Procope, t. I, pp. 398. sqq.

ولمزيد من التفاصيل عن ميناء ماندر اكيوم انظر
Audollent, Carthage Romaine, pp. 221 sqq.

(182) Anth. Lat., 387, dans F. Bücheler et A. Riese, 2 éd., t. I, 1, p. 295.

(183) Tablettes Albertini, I, 5, p. 215 (dalmatica una pura afra).

الأقمشة الحريرية الثمينة المسماة « سريكا » «serica» والتى ذكر بروكوبيوس أن الوندال كانوا يحبون التفاخر والتظاهر بارتدائها (١٨٤)، يبدو أنها كانت تستورد من الشرق ، اذ كانت الصين تصدرها الى بلاد فارس ، التى بدورها لعبت دورا هاما فى تجارة الحرير آنذاك (١٨٥) • هذا عن الواردات ، أما الصادرات فيتصدرها العبيد الذين أغرقوا أسواق قرطاج بفضل نشاط قراصنة الوندال فى حوض البحر المتوسط (١٨٦) وساعدهم على هذا أيضا بحريتهم القوية آنذاك •

ويبدو أن أسعار العبيد كانت متواضعة جدا ، اذ ورد فى الوثيقة الثانية من ألواح البرتينى أن شابا عمره ست سنوات تقريبا بيع بسعر صو ونصف أى ما يساوى ٦٫٨٣ جراما من الذهب (١٨٧) • وقد زودنا فيكتور دى فيتا ببعض التفاصيل عن عبيد يمتلكهم أحد رؤساء الألف من الونداليين (١٨٨) ، نستخلص منه أن العبيد كانوا كالأمتعة الشخصية يمكن نقل ملكيتها من مالك الى آخر • ولم تقتصر الصادرات على العبيد بل شملت أيضا الحيوانات المفترسة (١٨٩) ، والأوانى الفخارية المتوسطة الجودة والتى عثر عليها فى أطلال مرسيليا (١٩٠) • والأخشاب التى

---

(184) Procope, t. I, p. 444.

ولمزيد من التفاصيل عن هذا المصطلح أنظر :
R. - S. Lopez, Silk industry in the Byzantine Empire, dans Speculum, t. XX, 1945, pp. I - 42.

(185) Procope, t. I, p. 444 Cf. L. Brehier, La Civilisation, Byzantine, Paris, 1950, pp. 185 sqq.

(186) Courtois, L'Afrique et les Vandales. p. 322.

(187) L'acte II des Tablettes Albertini, p. 217.

(188) Victor de Vita, t, III, 1, pp. 8 sqq.

(189) Cassiodore, Chron., 1364, dans M.H.G.a.a., t XI, p 161

(190) F. Benoît, art. sans titre, dans Bull. de la Soc. Nat. des Antiq. de France, 1945 - 1947, pp. 245 sqq.

كانت تصــدر دائما الى ايطاليا (١٩١) • على أية حــال ، كان الميزان التجارى لصالح سكان الشمال الافريقى • ويؤكد هذا القول وجــود عملات بيزنطية بكثرة • وقد لاحظ بروكوبيوس بثاقب بصره وبصيرته أن الأفارقة فى عهد الوندال استغنوا عن استيراد المواد الغذائية (١٩٢)• وانعكس هذا الازدهار على مستوى معيشة الغزاة الوندال ، اذ عزفوا عن شرب الجعة وأقبلوا على شرب البيرة (١٩٣) واقامة الولائم (١٩٤) ، وقضاء أوقات الفراغ فى ممارسة هواية الصــيد (١٩٥) ومشــاهدة السيرك (١٩٦) وسماع الموسيقى (١٩٧) ومشاهدة المذنبين وهم يقدمون كقربان الى الحيوانات المفترسة (١٩٨) وعاش كبار قومهم فى ضــياع محاطة بمختلف أشجار الفاكهة (١٩٩) • كذلك عثر على كنز مكون من مائة وثمانين قطعة نقود ذهبية أغلبها من أصل شرقى ، مما يؤكد أن الشمال الافريقى على عهد الوندال شهد ازدهارا تجاريا ملحوظا ، وأن صادراته زادت على وارداته (٢٠٠) •

---

(191) Courtois, L'Afrique et les Vandales, p. 150.

(192) Procope. t. I, pp. 431 sqq.

(193 Procope, t. I, p. 401.

(194) Procope, t. I, p. 444.

(195) Procope, t. I, p. 444. Cf. p. Gaukler, Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique, t. II, Paris, 1910, pp. 225 — 226.

(196) Procope, t. I, p. 444.

(197) Procope,t. I, p. 447.

(198) Victor de Vita, t. III, pp. 17 et 47.

(199) Procope, t. I, pp. 386 et 444.

(200) E. Albertini. art. sans titre, dans bull, Arch. du Commerce, 1924, pp. CLXIII sqq.

أخيرا ، ذكر بروكوبيوس أنه لم ير مدينة واحدة أصابها الدمار لحظة استعادة الامبراطورية البيزنطية للشمال الافريقى • ونسبه الى بربر الأوراس قيامهم بتدمير مدينة تمجاد (٢٠١) • وقال أن أعمال التدمير الأخرى قام بها الروم والبربر (٢٠٢) • وهكذا ، برأ الوندال من جرائم تدمير المدن التى ألصقها بهم المؤرخون الكاثوليك •

---

(201) Procope, t. I, pp. 478 sqq et 511.

(202) Ch. Diehl, L'Afrique Byzantine, Paris, 1896, pp. 138 sqq.

خـــاتمة :

هكذا ، اذا كانت سمعة الوندال سيئة ، فانه يجب أن نضع فى الاعتبار أن تاريخهم — سبق أن أوضحنا — لم نعرفه الا عن طريق ضحاياهم من رجال الكنيسة الكاثوليك الذين ذاقوا الأمرين على أيديهم ، وبالتالى لا ننتظر من هؤلاء الانصاف ، بل التشهير والمبالغة فى الذم • ومن المؤسف حقا أن التاريخ الوندالى لم يكتبه مؤرخ وندالى حتى يتمكن الباحث من عقد دراسة تحليلية نقدية مقارنة لكافة المصادر تساعده على استجلاء الحقائق واعطاء كل ذى حق حقه • لذلك ، لا يمكننا القول أن الوندال يتسمون بميول هدامة للحضارة والانسانية ، اذا اتضح من البحث أنهم حافظوا الى حد ما على الحضارة الرومانية ، بل أخذوا بالتقاليد والعادات والحياة الرومانية • فلقد أوضحنا أن بعد استقرارهم انغمسوا فى حياة الترف والبذخ ، بل عملـوا على تمازج العناصر الجرمانية والرومانية والبربرية • وأثبتنا أيضـا أنهم لم يبالغوا فى ممارسة سياستهم الوحشية ضد الوطنيين الأفارقة ، واستخلصنا استنادا الى ألواح البرتينى أنهم لم يصادروا أملاك الفلاحين الذين كانوا مصدر الحياة الاقتصادية آنذاك ، وانما انتزعوا أرض كبار رجال الاقطـاع من الرومان المستغلين • لذلك تحامل كل أعداء الوندال — سواء رجال الدين الكاثوليك أو كبار الاقطاعيين — على اتهامهم بالقسوة والتوحش وسفك الدماء • ختام القول ، كان للوندال دور حضارى فى الشمال الافريقى ، وان كان لا يرقى الى الدور الحضارى الرومانى •

المصـــادر والمراجع

اولا — المصادر الأجنبية

— Ammianus Marcellinus ,

1 — Res Gestae, éd. Gardthausen, t. II, 1897.

2 — Comes, éd. Mommsen, A.A., IX, 2, 1894.

— Anthologia Latina, éd. A. Bûcheler et A. Riese, 2 Vols, 1894 - 1906.

— St. Augustin, ,

1 — Confessiones, éd. P. de Labriolle, t. I, 1896.

2 — Sermones post Maurinos reperti, dans Migne, Patrologia Latina, t. XXXVIII.

— Çassiodorus Senatoris,

1 — Variae, éd. Mommsen, dans Monumenta Germaniae Historica Auctores Antiquissimi, (M.G.H.a.a., سنرمز اليها بـ t. XII, Berlin, 1894.

2 — Chronicle, Chronica Minora, éd. Mommsen, 1892 - 1898.

— Chronica Gallica, Chronica Minora, éd. Mommsen, 1892. 1898.

— Chronicon Paschale, 2 vols, éd. Dindorf, 1832.

— Codex Theodosianus. éd. Mommsen et Mayer. 2 vols, 1905.

— Elien, DE nat. Anim., éd. R. Hercher, t. I, 1898.

— Ennodius, Epist., CL., dans M.G.H.a.a, t, VII, 1894 .

— Ferrandus de Carthage, Vita St. Fulgentii, G.G. Lapeyre, Paris, 1929.

— Hydace, Chronico, dans M.G.H.a.a., t. XI, 1894.

— Isidori Hispalenis Episcopi, Historia Wandalorum, dans M.G. H.a.a., t, XI, 1894.

— Narrato de Imperio domus Valentinianae et Theodosianae, dans M.G.H.a.a., t. IV, 1894

— Orosius, Historiae adv. Paganos, éd. Zagemeister, 1889.

— Malchos, Fragmenta, éd, Mûller, dans Fragmenta Historicorum Graecorum Malchos, t. IV., 1851 - 1870.

— Paulus Diaconus, Historia Longobardorum, dans Patrologia Latina, vol. 95.

— Polemius Silvius, Laterculus, dans M.G.H.a.a., t. IX, 1894

— Possidius de Calama, Vita Augustini, éd. Wèrskotten. Londres, 1919.

— Procope de Césarée, Bellum Vandalorum, éd. Haury, dans Bibliotheca Teubneriana, 3 vols, Munich, 1905 - 1913.

— Prosper, Chronicle, dans M.G.H.a.a., t, IX, 1894

— Sidonius Apollinarius, Epistulae, éd. Lutjohan, M.G.H.a.a, t. VIII, 1894.

— De tempore Barbarico, éd. G. Morin 1897.

— Victor de Vita, Historia Persecutionis Africae Provinciae Temporibus Geiserici et Hunerici Regum Wanlalorum, éd C. Halm, dans M.H.a.a., t. III, 1, Berlin 1879.

ثانيا — المراجع الاجنبية

— Albertini, L.,

1 — Actes de Vente du Ve siècle trouvés dans la région de Tébessa. (Algérie), dans Journal des Savants, Janvier, 1930.

2 — Article sans titre, dans Bull. Arch. du Commerce, 1942.

— Audollent, A., Carthage Romaine, Paris, 1901.

— Bon, A., Le Péloponèse Byzantin Jusqu à 1204, Paris, 1951.

— Benoît, F., Article sans titre, dans Bull. de la Soc. Nat. des Antiq. de France, 1945 - 1947.

— Bréhier, L., La civilisation Byzantine, Paris, 1950.

— Camps - Fabrer, L'Olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, Alger, 1953.

— De Cardaillac, F., Histoire de la Lampe antique en Afrique, dans Bull. de la Soc. Géog. et Arch. d'Oran, t. X, 1980

— Carpino, J., Les Tablettes Albertini, dans Journal des Savants, 1953.

— Courcelle, P., Histoire Littéraire des Invasions Germaniques, Paris, 1948.

— Courtois,,Ch..

1 — L'Afrique et les Vandales, Paris, 1955.

2 — Tablettes Albertini, Actes Privés de l'rpoque Vandale (fin du V siècle) Paris, 1952.

— Demougeot, E., De l'unité à la division de l'Empire Romain. Paris, 1951.

— Deehl, Ch., L'Afrique Byzantine, Paris, 1896.

— Gaukler, P.,

1 — Les thermes de Gebamund à Tunis, dans C.R. de l'Acad. des Inscript. 1907.

2 — Inventaire des mosaiquse de la Gaule et de l'Afrique, Paris, 1910.

— Gautier, E. - F.,

1 — Genséric, Roi des Vandales, Paris, 1935.

2 — Le Passé de l'Afrique du Nord, Paris, 1937.

— Le Gentilhomme, P., Le monnayage et la circulation Monétaire dans les royaumes barbares en Occident (Ve - VIII - siècle), dans Rev. Numismatique, 5, série, t. VII, 1944.

— Gsell St.

1 — Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, 1913.

2 — Cherchel, antique Iol Caecea (mis à Jour Par M. Leglay et E. - S. Colozier). Alger, 1952.

— Hubert, H., Les Germains, Paris, 1952.

— Julien, Charles - André., Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1975.

— Lambert, J., Les Tablettes Albertini, dans Latomus, t. XII, 1953.

— Lecocq, A., Le Commerce de l'Afrique Romaine, dans Bull. de la Soc. de Géog. et d'Arch. d'Oran, t, XXXII. 1912

— Lopez, R - S., Silk industry in the Byzantine Empire, dans Speculum. t. XX, 1945.

— Lot, F.,

1 — Les Invasions Germaniques, Paris, 1945.

2 — La Fin du Monde Antique et le début du Moyen Age, Paris, 1927.

— De Malafosse, J., Note sur les Tablettes Albertini : Les stipulations de garantie, dane, dans Rev. Hist. de Droit Français et étranger, 1953.

— Martroye, F., Genséric. Paris, 1907.

— Pirenne, H., Mahomet et Charlemagne, Paris, 1970.

— Renault, H., Le Prix du blé à Carthage à la fin du IV siècle, dans Rev. Tunisienne, t. XX. 1913.

— Saumage, Ch., Observations sur deux Lois Byzantins relatives au « Colonat » dans l'Afrique du Nord, dans Deuxième Congrès de la Fédération des Sociétés Savantes de l'Afrique du Nord (Tlemcen, 1936), t. II, Alger, 1936.

— Troussel, M., Les Monnaies Vandales d'Afrique. Découvertes de Bou - Lilate et du Hamma, dans Recueil des Notices et Mémoires de la Soc. arch. de Constantine, t. LXVIII, 1950 - 1951.

ثالثا — المراجع العربية والمعربة

ابراهيم أحمد العدوى (الدكتور) :

« الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم » — القاهرة ١٩٥٨ .

ابراهيم على طرخان (الدكتور) :

« شمالى أفريقية والوندال » المجلة التاريخية المصرية ١٩٦٣ — العدد ١١ — ص ٦٥ — ١٦٦ .

اسحق عبيد (الدكتور) :

١ — « الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربية مع دراسة فى مدينة الله » — القاهرة ١٩٧٣ .

٢ — « من الأرك الى جستنيان » — القاهرة ١٩٧٧ .

السيد الباز العرينى (الدكتور) :

« تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى » — بيروت ١٩٦٨ .

بيرلى ســـمالى :

« المؤرخون فى العصور الوسطى » — ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم — القاهرة ١٩٧٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

١ — « حضارة أوروبا فى العصور الوسطى » القاهرة ١٩٥٩ .

٢ — « أوروبا فى العصور الوسطى » — القاهرة ١٩٧٢ .

على الغمراوى (الدكتور) :

« دراسات فى تاريخ العصور الوسطى » — القاهرة ١٩٧٥ .

محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :

« الممالك الجرمانية » — الاسكندرية ١٩٧٥ .

محمود سعيد عمران (الدكتور) :

« مملكة الوندال فى شمال افريقيا » — الاسكندرية ١٩٨٥ .

نعيم فرح (الدكتور) :

« تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى » — دمشق ١٩٧٨ .

محتويات الكتاب

كتب للمؤلف

(توزيع دار الفكر العربى بالقاهرة
ودار الفكر الجامعى بالاسكندرية)

١ ــ « ارمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين » ــ الاسكندرية ١٩٨٢ .
٢ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة » الاسكندرية ١٩٨٣ .
٣ ــ « الفتوحات الاسلامية لأرمينية » الاسكندرية ١٩٨٣ .
٤ ــ « امبراطورية طرابيزون والبندقية » ــ الاسكندرية ١٩٨٣ .
٥ ــ « البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد » ــ الاسكندرية ١٩٨٤ .
٦ ــ « استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية « آنى » » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٧ ــ « المقاومة الاسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٨ ــ « أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٩ ــ « الحياة الاقتصادية فى أرمينية ابان الفتح الاسلامى » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١١ــ « الحياة الاقتصادية فى الشمال الافريقى فى عهد الوندال » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٢ ــ « معركة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية » ــ محاضرة ألقيت فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ــ بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨٧ ــ تحت الطبــع

(13) « La Prospérité économique De L'Arménie Au Temps Des Bagratides »

محاضرة ألقيت فى لاتليبه ــ جماعة الفنانين والأدباء بالاسكندرية ــ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٧٨ وطبعت بمطبعة نوبار ١٩٨٨ .

مطبعة الجبلاوى
٢٠ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٠٢ / ١٩٨٨

كتب للمؤلف

(توزيع دار الفكر العربى بالقاهرة
ودار الفكر الجامعى بالاسكندرية)

١ — « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين » — الاسكندرية ١٩٨٢ .
٢ — « أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة » الاسكندرية ١٩٨٣ .
٣ — « الفتوحات الاسلامية لأرمينية » الاسكندرية ١٩٨٣ .
٤ — « امبراطورية طرابيزون والبندقية » — الاسكندرية ١٩٨٣ .
٥ — « البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد » — الاسكندرية ١٩٨٤ .
٦ — « استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية « آنى » » — القاهرة ١٩٨٧ .
٧ — « المقاومة الاسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس » — القاهرة ١٩٨٧ .
٨ — « أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية » — القاهرة ١٩٨٧ .
٩ — « الحياة الاقتصادية فى أرمينية ابان الفتح الاسلامى » — القاهرة ١٩٨٨ .
١١ — « الحياة الاقتصادية فى الشمال الافريقى فى عهد الوندال » — القاهرة ١٩٨٨ .
١٢ — « معركة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية » — محاضرة ألقيت فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — بتاريخ ١١ نوفمبر ٧ تحت الطبع

« La Prospérité économique De L'Arménie Au Temps Des Bagratides »

محاضرة ألقيت فى لاتلييه — جماعة الفنانين والأدباء بالاسكـ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٧٨ وطبعت بمطبعة نوبار ١٩٨٨ .